



@Tafsircenter

من بحوث المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية

نقد التفسير بين الواقع والأمأل

د. محمد صالح محمد سليمان

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies



نقد التفسير بين الواقع والمأمول

بحث مقدمٌ

للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

١٤٣٤/٤/٦ - ١٣/٢/١٦ هـ

إعداد

د. محمد صالح محمد سليمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيرة الذاتية

أولاً - البيانات الشخصية:

الاسم: محمد صالح محمد سليمان.

الجنسية: مصرى.

تاريخ الميلاد: ١٩٧٩/٥/٢٢ م.

محل الإقامة: مصر - الإسماعيلية - أبو عطوة.

محل العمل: كلية الدراسات الإسلامية والعربية - فرع جامعة الأزهر بالشرقية - مصر.

البريد الإلكتروني: Abosaleh79@gmail.com

ثانياً - الشهادات العلمية:

- الإجازة العالية (الليسانس) في أصول الدين - قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، من جامعة الأزهر، عام ٢٠٠١ م بتقدير "ممتاز مع مرتبة الشرف".
- درجة التخصص (الماجستير) في أصول الدين - قسم التفسير وعلوم القرآن، من جامعة الأزهر عام ٢٠٠٧ م بتقدير "ممتاز" مع توصية بطبع الرسالة.

ثالثاً - المؤلفات العلمية:

- ١ - اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق (رسالة ماجستير، ط: دار ابن الجوزي).
- ٢ - التفسير الإجمالي مفهومه وأنواع المصنفات فيه.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية**رابعاً - التدرج الوظيفي:**

- ١ - يعمل الآن مدرساً مساعداً للتفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالشرقية - جامعة الأزهر.
- ٢ - عمل معيداً للتفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالشرقية - جامعة الأزهر من عام ٢٠٠٢م إلى عام ٢٠٠٧م.

خامساً - المشاركات العلمية:

- ١ - تدريس التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر ومعاهد إعداد الدعاة.
- ٢ - الإشراف على العمل العلمي لموقع تدبر وجوال تدبر.
- ٣ - المشاركة في إنجاز مشروع مدارسة سور المفصل.
- ٤ - المشاركة في الدورة العلمية رقم (١٢) في التفسير وعلوم القرآن بدولة قطر بدعوة من وزارة الأوقاف.

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

ملخص البحث

النقد مرتبط بالعلوم كلها ارتباطه بالحياة، فما من علم إلا والنقد سر من أسرار حياته، وسبب رئيس من أسباب تطوره وازدهاره، وأساس لتنقيح مسائله وأفكاره، وإن الدراسات القرآنية في سعيها للتطوير والتغيير التدريجي للترقي والازدهار، لا بد لها من نقد واقعها، واستقراء أحواله، ورصد الخلل الذي طرأ عليه، مع رصد العقبات التي اكتَّدت طريقه وأخْرَت مسيرته، ومن هنا كان اهتمام البحث برصد بعض مظاهر الخلل الواقع في بعض الدراسات القرآنية، والتنبيه على بعض الضوابط المصححة لميسيرة النقد.

وقد نبه البحث على أن للنقد طرِيقاً يُسلِّك، وخطوات تُخطي، ومنهج يُتبع، وأنه حري بكل من دخل إلى ساحة النقد التزام المنهج السليم باتباع الخطوات الأساسية له التي بواسطتها يتخلص النقد من التسرع والهوى والنظارات الانتقائية وغيرها من شوائب النقد التي تحرف به عن مساره الراشد.

كما رصد البحث بعض مظاهر الخلل في نقد التفسير وما ارتبط به، من نحو انتقاد جُل المفسرين بتواردهم على خطأ واحد في قرون متتابعة، وكذا انتقاد تفسير جمهور السلف بأنه خرافه، وكذا إصدار الأحكام التي يظهر منها قلة الخبرة بطريقة المفسرين ومناهجهم، أو الذهول عن بعض أصول التفسير وقضاياها، أو انتقاد ومحاكمة المفسرين إلى مصطلحات قُيدَت دلالتها أو وسَعَت بما لم يكن مراداً لهم

ونبه البحث كذلك على بعض الضوابط التي لا يصح النقد بدونها، ولا يؤتي أكله بالتخلي عنها، وبين أهميتها في فهم أقوال المفسرين على وجهها، وتلافي الوقوع في انتقاد أقوالهم دون روية أو برهان، من نحو ترك الانتقاد

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

بالبدويات التي لا تخفي على المنتقد لا سيما إن كان من الأئمة والمصنفين، وعدم انتقاد الإمام مع إمكان تصحيح كلامه بدون تكلف، ومحاولة الوصول للأصل الذي بنى عليه المفسر قوله قبل المسارعة إلى انتقاده، والتثبت من صحة النقل المنسوب إليه، وكذا عدم انتقاد مفسر أو غيره إلا بعد مراجعة فهم العلماء لكلامه وكيفية تعاملهم معه، وبخاصة من كانوا قريين من عصره.

ثم ذُيل البحث بخاتمة كان من أبرز نتائجها بيان وجود تصادمٍ واضحٍ بين تطبيقات الأئمة وأقوالهم، وبين ما يقرره بعض المعاصرین في بعض القضايا، مما يؤكّد أهمية العودة لتطبيقات الأئمة، واستقراء مؤلفاتهم استقراءً دقيقاً، وأن لكتاب المفسرين منهجاً ينبغي أن يستكشف في كثير من القضايا، كالتعامل مع القراءات إنكاراً وترجحها، وكذا في رواية الإسرائييليات، وروايات النزول وغيرها من المسائل الشائكة التي تحتاج قبل انتقادهم فيها إلى نبذ العاطفة جانباً، ثم محاولة معرفة علل إنكارهم لما أنكروا، وأسرار اختيارهم لما اختاروا، وأسباب روایتهم لما رأوا، ومعرفة أغراضهم في ذلك كله، ثم يلي ذلك نقدنا لأقوالهم وأرائهم أو قبولها. وذلك أمر بعيد الشقة يستلزم تكاتف الجهود وتضافر الباحثين للوصول إلى نتائج منهجية علمية معتبرة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فلما كانت الرأيـة التي رفعها هذا المؤتمر المبارك هي «تطوير الدراسات القرآنية» آثرت أن أتقـدم ببحث عن «نقد التفسير»؛ لكون النقد ركناً لكل تطوير، وأساساً لكل تغيـير، وكل تطوير يتم دون تقويم وتقييم، ودون رصد لمظاهر القـوة والضعف في كل طور ليس له حظ من التطوير إلا اسمـه. ومـما لا شكـ فيـه أن الدراسـات القرـآنـية فيـ سعيـها لـ التطـوير والتـغيـير التـدـريـجي لـ التـرـقـي والـازـهـارـ، مـفتـقرـة إـلـى نـقـد وـاقـعـهاـ، وـاسـتـقـراءـ أحـوالـهـ، وـرـصـدـ الخـللـ الذـي طـرأـ عـلـيـهـ، معـ رـصـدـ العـقـبـاتـ التـي اـكتـأـتـ طـرـيقـهـ وـأـخـرـتـ مـسـيرـتـهـ، وـمـنـ هـنـاـ كـانـ اـهـتمـامـ الـبـحـثـ بـرـصـدـ بـعـضـ مـظـاهـرـ الخـللـ الـوـاقـعـةـ فيـ بـعـضـ الـدـرـاسـاتـ القرـآنـيةـ، وـالـتـنبـيهـ عـلـىـ بـعـضـ الضـوابـطـ الـمـصـحـحةـ لـمـسـيـرةـ النـقـدـ.

وـغـيرـ خـافـ عـلـىـ كـلـ ذـيـ لـبـ أـنـ العـصـمـةـ مـنـ الـخـطـأـ لـ تـكـونـ لـأـحدـ بـعـدـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ، وـلـذـاـ فـلاـ ضـيـرـ مـنـ أـنـ يـسـتـدـرـكـ الـلـاحـقـ عـلـىـ السـابـقـ، وـأـنـ يـفـطـنـ الـمـتـأـخـرـ إـلـىـ مـاـ لـمـ يـفـطـنـ إـلـيـهـ الـأـوـاـئـلـ، فـلـيـسـ الـحـقـ حـكـراـ عـلـىـ أـحـدـ، وـلـيـسـ الصـوابـ مـلـازـمـاـ لـأـحـدـ، بلـ لـكـلـ جـوـادـ كـبـوـةـ، وـلـكـلـ عـالـمـ هـفـوةـ وـزـلـةـ.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

قال المبرد: وليس لقدم العهد يفضل الفائل^(١)، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق^(٢). لكن القضية أن النقد لم يقدر حق قدره، في بعض الدراسات المعاصرة، فصار من لم يرق له شيء انتقاده، ومن لم يعجبه قول رده، دون التنبه إلى أن للنقد طريقاً يسلك، وخطوات تُخطي، ومنهج يُتبع، فهو نقد ينطلق دون منهجية علمية سليمة، ودون تبصر تام بأصول التفسير، ودون وعي عميق دقيق بمناهج المفسرين، ودون استقراء لمصنفات المفسرين، معتمداً التسريع بدل الثاني، والتعيم بدل التدقير، وردة الفعل بدل العمل المنهجي الفاعل، والنظارات الانتقائية بدل النظارات الكلية.

وقد أردت بمساهمتي بهذا البحث - المتواضع - المشاركة في تطوير الدراسات القرآنية، برصد بعض ما بدا لي أنه بحاجة إلى تطوير وتجديد، لاسيما تجديد الفهم للتراث، والإشارة إلى أهمية هذا الموضوع والإسهام في بعض جوانبه، وإماتة اللثام عن بعض مشكلاته، عسى أن يتبع فيه الدرس، ويتجه إليه النظر، فتتحرّك الدراسات القرآنية في مسار آخر، ويتجه البحث فيها صوب تحقيق الرشد المنهجي، والتطور الراشد المنضبط، مع علمي بأن البعض قد يخالفني فيما طرحته، وتلك سنة الله في خلقه.

(١) رجل فيل الرأي والفراسة، إذا كان ضعيفاً، والجمع أفيال، ورجل فال، أي ضعيف الرأي مخاطئ الفراسة. لسان العرب، مادة فيل

(٢) الكامل في اللغة والأدب ٨/١

نقد التفسير بين الواقع والمأمول**أهداف البحث:**

- تسليط الضوء على أبرز مظاهر الخلل في نقد تفاسير السلف ومصنفات المفسرين.
- بيان بعض ضوابط النقد الالزمة لفهم أقوال المفسرين.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى: مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث: المقدمة ذكرت فيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وأهدافه، وخطتي فيه.

- التمهيد: وفيه بيان مفهوم النقد، وأهميته في تطور علم التفسير.
- المبحث الأول: خطوات النقد.
- المبحث الثاني: مظاهر الخلل في نقد التفسير.
- المبحث الثالث: ضوابط نقد التفسير.
- خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وإذا كان النقص من طبع البشر فالنقص في أعمالهم كذلك، والمرء لا يرتقي في مدارج الكمال - بعد توفيق الله - إلا بمثل نصيحة ناصحٍ، أو توجيهٍ موجهٍ، أو إرشادٍ مرشدٍ، فرحم الله من رحمني من الخطأ بنصحه، وبصَرَ الله بصيرة من بصرني بالصواب بتوجيهه، ولا حرمنا الله التناصح والتعاون على البر والتقوى، والمرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بأخوانه.

وأسأل الله الذي وفق لهذا العمل وأعان عليه أن يتقبله بقبولٍ حسنٍ، وأن ينفع به، وأن يُثقلَ به موازيني، وأن يجعله حجاباً لي من النار، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

إنه ولِي ذلك ومولاه وهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

مفهوم النقد

النقد في اللغة:

النقد لغة: مأخذ من نَقَدَ ينْقُدْ نَقْدًا، وانتقد ينتقد انتقاداً، وقد استعملت هذه المادة لعدة معانٍ أشهرها

- ١ - تمييز الجيد من الرديء، يُقال: نقد الدرارِم أي مَيْزَ جَيْدَهَا ورَدِيَّهَا، وَيُقَالُ: نَقَدَ النَّشْرَ وَنَقَدَ الشِّعْرَ أَظْهَرَ مَا فِيهِمَا مِنْ عَيْبٍ أَوْ حُسْنٍ^(١)
- ٢ - المناقشة، يقال: ناقدُتْ فلاناً إِذَا ناقشتَهُ فِي الْأَمْرِ^(٢)
- ٣ - مداومة النظر إلى الشيء، يقال: مازالَ فلان ينقد بصره إلى الشيء، إِذَا لَمْ يَزُلْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ^(٣).
- ٤ - الانتقاء والاختيار: وَهُوَ مِنْ نَقْدُ الشَّيْءِ بِإِضَبَاعِي أَنْقُدُهُ وَاحِدًا وَاحِدًا نَقَدَ الدَّرَارِمِ. وَنَقَدَ الطَّائِرَ الْحَبَّ يَنْقُدُهُ، إِذَا كَانَ يَلْقُطُهُ وَاحِدًا وَاحِدًا^(٤)
- ٥ - العيب والانتقاد، وَفُلَانٌ ينقد الناس يعيدهم ويغتابهم، ومنه قول أبي الدرداء في بيان بعض صفات الناس المذمومة (إن تركتهم لم

(١) ينظر: كتاب العين (٥/١١٨)، تهذيب اللغة (٩/٣٦) المعجم الوسيط (٢/٩٤٤).

(٢) ينظر: (الصحاح /٢٤٥)، لسان العرب (٦/٤٥١٧).

(٣) ينظر: الصحاح (٢/٤٥٥)، معجم مقاييس اللغة (٥/٤٦٨).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٤٠١).

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

يتركوك، وإن نقدتهم نقدوك^(١) أي: إِنْ عَبَّثُمْ وَاغْبَثُهُمْ قَابِلُوكْ بِمِثْلِهِ^(٢).

فالنقد في اللغة يدور حول معاني التمييز، والمناقشة، والاختيار، والعيب، ومداومة النظر، وهي كلها وثيقة الصلة بمفهوم النقد العام - كما سيأتي بيانه - إذ ينبغي على كل من أراد انتقاد قول أو فعل مداومة النظر إليه ومناقسته؛ ليتمكن من تمييز جيده وردئه، فيمكّنه ذلك من اختيار الجيد، ونبذ الرديء.

وفي ضوء ما سبق، يمكننا أن نعرف النقد لغة بأنه: فحص الشيء واختباره، وتدقيق النظر إليه وإمعانه؛ بغية إظهار ما فيه من عيب أو حسن، أو صواب أو خطأ^(٣).

النقد بمفهومه العام:

النقد بمفهومه العام هو: دراسة الأشياء وتفسيرها، وتحليلها وموازنتها بغيرها، مما يشابهها أو يقابلها، ثم إصدار الحكم عليها بتحديد مقدار قيمتها، وبيان واقع درجتها، ويجري هذا في الحسبيات والمعنويات، وفي العلوم والفنون، وفي كل شيء متصل بالحياة^(٤) فهو في جوهره عبارة عن مجموعة من العمليات الذهنية التي تستهدف تقييم بعض الحقائق

(١) موطأ مالك برواية محمد بن الحسن ص: (٣٤١) برقم (٩٧٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٠٤/٥)، المعجم الوسيط (٩٤٤/٢).

(٣) بناء العقل النقدي (ص: ١٩).

(٤) النظرية النقدية عند العرب (ص: ٢٠).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

والأفكار والظواهر، وتميّز ما فيها من خير، وحق، وصواب، وجمال، عما فيها من باطل، وخطأً، وقبح.^(١) والنقد ضرب من التذوق والإدراك، والملاحظة الدقيقة التي تقوم على تقليل الأقوال والمعلومات على وجوهها المختلفة، من فكرة إلى عبارة إلى معنى؛ لإدراك دقائقها ومحتوها، مما ييسر إصدار الحكم السليم عليها، وهو وسيلة تمحيص تعصّم الآراء من الزلل والانحراف، وتحرر الفكر من قيود التعصب أو التسيب.^(٢) وبهذا يظهر-جلياً- أن النقد لا يقنع بالنظر إلى ظواهر الأشياء، بل يتوجّل في أعماقها، ويقوم بفحصها ودراستها؛ للوصول إلى فهمها على حقيقتها^(٣)، فهو إذن قدرة على النفاذ إلى أسرار اللغة والفكر معاً.^(٤)

مفهوم النقد في علم التفسير:

تبأّنت تعريفات الباحثين لنقد التفسير، فمنهم من عرّفه بأنه: تميّز التفسير بمجالاته المختلفة؛ من مناهج ورجال، وموريات وأقوال، وبيان الصحيح من الضعيف^(٥). وعرّفه آخر بأنه: تمحيص أقوال المفسرين وأرائهم وأفكارهم، سواء أكانت مستندة إلى النقل أم العقل أم اللغة أم غير ذلك، وموازنتها بغيرها المشابهة لها والمقابلة، وتقويمها، والحكم

(١) تكوين المفكّر (ص: ٧٧).

(٢) في النقد الأدبي (ص: ٥) بتصرف.

(٣) بناء العقل النقدي (ص: ٢٠).

(٤) النقد والجمال عند العقاد ص: ٦٨، ٦٩ لعبد الفتاح الديدي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون بيانات.

(٥) نقد الصحابة والتابعين للتفسير (ص: ١٦)

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

عليها قبولاً أو ردًا، استحساناً وارتضاءً، أو استنكاراً واستهجاناً، مع بيان قيمتها ودرجتها العلمية.^(١) وعَرَفَهُ ثالثُ بِأَنَّهُ القراءة الوعائية المتفحصة المغربلة للتراث التفسيري كما وصلنا.^(٢)

ولو عُرِفَ نقد التفسير بأنه: - إمْعاَنُ النَّظَرِ فِي أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ وَمَنَاقِشَتِهَا لِتَمْيِيزِ جَيْدِهَا وَرَدِيَّهَا، ثُمَّ إِصْدَارُ الْحُكْمِ عَلَيْهَا - لَكَانَ أَقْرَبُ إِلَى حَقِيقَةِ النَّقْدِ وَغَرْضِهِ فِيمَا يَبْدُو لِي.

أثر النقد في تطور علم التفسير:

النقد مرتبط بالعلوم كلها ارتباطه بالحياة، فما من علم إلا والنقد سر من أسرار حياته، وسبب رئيس من أسباب تطوره وازدهاره، وأساس لتنقيح مسائله وأفكاره، ولذا من تأمل تاريخ العلوم سيلحظ بوضوح أن الفترات التي خفت فيها أنوار أي علم من العلوم، أو خبا فيها أوازُرُ أي فن من الفنون كانت هي الفترات التي كثُر فيها النقل وقل فيها النقد، وندر فيها التحرير والاجتهاد، وخفت فيها صوت المحررين والنقاد، وسيلاحظ على الجانب العكسي تطور العلوم وازدهار الفنون وارتقاء التفكير في الفترات التي تصدر فيها أهل التحرير والاجتهاد، وعلا فيها صوت الحذاق والنقاد، وشاع أمر التفكير والانتقاد.

וללقارئ أن يتبع أثر تفاسير الطبرى وابن عطية والزمخشري في تطور علم التفسير، فقد أحدث هؤلاء بنظراتهم النقدية، وترجحهم بين

(١) المنهج النقدي في تفسير القرطبي (ص: ٢٥٧)

(٢) المنهج النقدي في التفسير عند ابن باديس (ص: ١١٧)

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الأقوال، نقلة نوعية في علم التفسير، وتأثر بهم جُلُّ من جاء بعدهم إيجاباً أو سلباً، وقلَّ أن تجد تفسيراً من التفاسير إلا وللثلاثة أو لأحدhem حظ كبير فيه.

ويمكن إجمال أثر النقد في تطور علم التفسير في عدة أمور:

الأول: تمييز الراجع من المرجوح، والخطأ من الصواب، والتَّعْرُف على مواطن القوة، ومواطن الضعف.

الثاني: للنقد دورٌ كبير في التعريف بأسباب الخطأ في التفسير، وبيان مداخله، وكيفية التعامل معه.

الثالث: الوقوف أو التعرف على جملة من أصول التفسير وضوابطه من خلال انتقادات الأئمة.

الرابع: كثرة التصنيف في التفسير: فالتصنيف نوع من النقد، ذلك أن المؤلف رأى أن التفاسير التي سبقت انتهجه طريقة لم ترق له، أو وقعت في مزالق فأحب أن ينبه عليها، أو اهتمت بجانب رأى أن الاهتمام بغيره أولى، ... الخ.

الخامس: كثرة المختصرات والحواشي على كتب التفسير.

فهذه الأمور وغيرها أسهمت إسهاماً كبيراً في تطور علم التفسير، وكثرة مصنفاته، وضبط أصوله، ودفع الخطأ عنه.

المبحث الأول

خطوات النقد

يمثُّل النقد في تكوُّنه وتخليقه - باعتباره عملية ذهنية معرفية - بعده خطوات وأطوار لا يتم ميلاده الكامل السوئي إلا بعد اكتمال تلك الخطوات والأطوار، وإنما كان نقداً مشوّهاً غير مكتمل الصورة، وصار ضرره أكبر من نفعه، وخطوه أكثر من صوابه. وخطوات النقد هي: القراءة، والفهم، والتفسير، والحكم.^(١)

وتوضيح ذلك أنَّ النقد في حقيقته تعبر عن موقف كلي متكملاً في النظرة إلى الفن عامة، يبدأ بالتدوّق؛ أي القدرة على التمييز، ويعبُّر منه إلى التفسير والتحليل، والتحليل والتقييم، وهي في حقيقتها خطوات لا تغنى إحداها عن الأخرى، وإنما هي متدرجة على هذا النسق؛ كي يتخد الموقف النقدي نهجاً واضحاً مؤصلاً على قواعد جزئية عامة، مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز^(٢).

فالناقد حتى يتخد نقه المسار السليم، وتم صورته السوية، لا بد له من التزام الخطوات التالية:

(١) مدارس النقد الأدبي الحديث (ص: ١٠) بتصريف

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب (١/٨، ٩).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

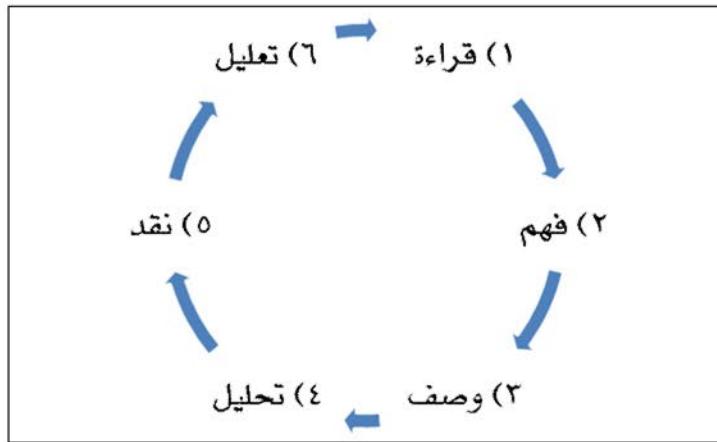
- ١- القراءة أو السمع أو الرؤية: والمقصود بها تحصيل العلم بالقول أو النص المنتقد.
- ٢- الفهم أو التأويل: والمراد به محاولة استيعاب معنى النص ومقصوده، وفهم مرادات قائله، وهذه أهم خطوات النقد على الإطلاق التي ينبغي عليها ما بعدها، وبمقدار الإصابة في الفهم تكون الإصابة في النقد، وإذا حدث خطأ في الفهم من قبل الناقد، انهار النقد من أساسه. ولاشك أنَّ الأفهام تتفاوت، وأنَّ فهم المعلومات والأفكار على وجهها ليس بالأمر الميسور، وخاصة إذا تباعد الزمن، وعظام الفرق بين الناقد والمنتقد.
- ٣- الوصف: والمراد به وصف القول؛ إما حكايته بنصه، أو التعبير عنه بعبارة الناقد.
- ٤- التحليل أو التفسير: والمراد به تحليل النص المنتقد، وتفكيره أجزائه، وتتبع احتمالاته؛ لاستكشاف مفرداته، وتميز جوانب الحسن وجوانب القبح فيه، فهو وقفة عند النص ومعه موطن النقد؛ لإدراك أبعاده، وبلوغ أعماقه، وسبل غوره، والبحث في العوامل المؤثرة فيه، وفي صلة النص بصاحبِه ومحیطِه وعصرِه^(١) وغير ذلك مما يلزم معرفته لفهم مقاصد النص ومراميه، والوقوف على دلائله ومراداتِه.
- ٥- الحكم النقيدي: والمراد به إصدار الحكم الذي ارتآه الناقد بشأن القول المنتقد.

(١) مقدمة في النقد الأدبي (ص: ٣٤٠).

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

٦- التعليل: وهو ذكر علة الحكم النقي وبيان مسوغاته^(١).

فهذه المراحل أو الخطوات لاسيما الخمس الأولى لا يمكن انفكاك النقد عنها بحال من الأحوال، في أي فن من الفنون، ولا في أي عمل نقدي، بل لا يمكن أن يكون هناك نقد بدونها، وأما المرحلة السادسة وهي التعليل فقد تصاحب النقد وقد تفارقه، ولا يلزم من عدمها عدمه. وهذه المراحل متراقبة ومتسلسلة تسلسلاً ذهنياً عقلياً، ولا بد للناقد من ممارستها والمرور بها واحدة تلو الأخرى، إلا أنه لا يشترط في عرض المسائل النقدية أن تكون هذه الخطوات بارزة ظاهرة لأول وهلة، بل قد يكون من الطبيعي عدم ظهور بعضها، كقراءة النص وفهمه من قبل الناقد، وقد يختزل الناقد بعضها ولا يبرزه، ويعرض انتقاده مجملأً. وهذا رسم توضيحي يبين خطوات النقد ومراحله ويزيل الترابط القائم بينها.



(١) ينظر في بيان هذه الخطوات أيضاً: ترويض النص (ص: ٥٥)، في النقد الأدبي

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وليت المتعرضين لنقد التراث التفسيري - وغيره - بل ليت الناس جمِيعاً في مواقفهم الحياتية يَتَمَثَّلُونَ جيداً مثل هذه الخطوات، وينعمون بالنظر فيها، ويلتزمون بتطبيقها، ولئن كان هذا واجباً في واقع الناس إلا أن وجوده في نقد العلم أوجب، والأخذ به ألزم، وإنما تحول النقد إلى عمل غير منضبط، يعتمد على الأهواء الشخصية، والاجتهادات الفردية، والميول النفسية التي لا يضبطها ضابط، ولا يحدُّها حدٌّ، وحيثُنَّ يصير ضرره أكبر من نفعه، وشططه أكثر من صوابه.

المبحث الثاني

مظاهر الخلل في نقد التفسير

تسللت بعض مظاهر الخلل إلى نقد التفسير وبعض مسائل علوم القرآن المرتبطة به في بعض الدراسات القرآنية المعاصرة، وقد أراد البحث الإشارة إليها، والتنبيه عليها، رغبة في دفع الخلل عن نقد التفسير، حتى يواصل مسيرته في تنقية مسائل التفسير، وتحرير قضاياه، وسيتناول البحث بيان بعض تلك المظاهر، مع الإشارة إلى أن بعضها قد يكون عاماً يندرج التفسير تحته أو يرتبط به، وقد يكون مختصاً بالتفسير ذاته، ولكن بعضها مما قد يخالف فيه الباحث، ارتأينا التفصيل في بيان بعضها بغية إيضاح المقصود وبيان المراد، وتقريره بالأمثلة والشواهد، وهكذا البيان:

المظهر الأول: انتقاد جُلّ المفسرين بتواردهم على خطأ بعينه:

كثير في أوساط المعاصرين انتقاد جُلّ المفسرين بانتقادات لازمها أنَّ جُلّ المفسرين تواردوا على أخطاء بعينها، وتتابعوا عليها لقرون متطاولة، وأنَّ هذه الأخطاء بعينها تفشت في جُلّ كتب التفسير وعلوم القرآن، حتى لا يكاد يسلم منها كتاب من كتب التفسير، ولا ينجو منها مفسر من المفسرين، بل وربما شارك المفسرين في الخطأ ذاته في بعض القضايا جُلُّ النحاة واللغويين، فهو انتقاد لقضايا وقع فيها جُلُّ هؤلاء العلماء.

وانتقاد كهذا يذهب بعقل الحليم لو تفكّر قليلاً؛ !!! إذ لو ثبت هذا النقد وصحّ، فثبتوه يحمل في طيّاته مخالفة صارخة للمنهج العلمي،

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ونازلة منهجية كبرى؛ إذ ذلك يعني أنَّ جُلَّ المفسرين بل وربما شاركهم جُلَّ النحاة واللغويين، ممن أسسوا تلك العلوم، ووضعوا قواعدها، وتلقَّيت عنهم، وهم الحجة فيها، وعلى كلامهم المعوَّل = لم يصلوا للصواب في تلك القضية، ولم يصيروا الحق في هذا الباب، واستمرَ خطأهم في هذا الباب لقرون مطلاوة، دون أن يكتشفه أحد إلا أفراد قليلون أتوا بعدهم بقرون كثيرة.

وعلى عكس ذلك لو ثبت خطأ هذا النقد، فخطئه يحمل في طياته أنَّ بعض المعاصرين لم يتضح لهم منهج الأئمة في تناول تلك القضايا، وهذه أيسر من سابقتها، وهي مهنة كبيرة لكنها تحمل في ثناياها منحة البحث من جديد لاستكشاف المنهج في تلك القضية المدروسة، ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا !! ولأضرب لما أسلفت مثلاً عسى أن يتضح به المراد وبيان المقصود.

مسألة: إنكار القراءات المقروء بها أو الترجيح بينها:

إذا تأَمَّل المتأمل ظاهرة ما يسمى بـ(إنكار القراءات، أو الترجح بينها) وببداية ظهورها لوجودها قديمة النشأة منذ عصر الصحابة^(١)، ولو جدَ

(١) ينظر: إنكار عائشة لقراءة {وظنوا أنهم قد كذبوا} بالتحفيف (صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ حَقٌّ إِذَا أَسْتَيَسَ الرُّسُلُ ﴾ [يوسف: ١١٠]، ح: ٤٦٩٥)، وإنكار سعد بن أبي وقاص لقراءة ﴿ نُسِّهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ينظر: (فتح الباري ١٦٧/٨)، وإنكار ابن عباس لقراءة {إذا قومك منه يضُدون} بضم الصاد (تفسير الطبرى ٦٢٤/٢٠)

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

أكثر الأئمة المتقدمين في القراءات، والتفسير، والفقه، واللغة، قد نقل عنهم انتقاد بعض القراءات أو الترجيح بينها، فقد نقل مثل ذلك عن: سفيان بن عيينة^(١)، والخليل بن أحمد^(٢)، ومالك بن أنس^(٣)، وأحمد بن حنبل^(٤)، وابن جرير الطبرى^(٥)، ومكي بن أبي طالب^(٦)، وأبو العباس المهدوى^(٧)، وابن عطية^(٨)، وغيرهم كثير، ومن لم أسمّ أكثر من سميّت، وإنما قصدت ذكر المبرّزين في تلك العلوم والمقدّمين فيها في الإقراء، والتفسير، واللغة، والفقه.

ولك أن تتدبر أن مكيًا بن أبي طالب، وأبا العباس المهدوى من أئمة القراءات، وهم من تصدّوا للرد على من طعن في القراءات، وأنكروا عليه، فهل وصفُهم بالتناقض - كما رأى ذلك بعض الباحثين - لكونهم أنكروا بعض القراءات، ورددوا على من أنكر أيضًا = هو المسلك الأمثل، والطريق الأقوم؟ إن هذا شيء عجائب! وإذا نظرنا إلى الانتقادات الموجّهة إلى هذا المسلك، لوجدناها تستند إلى أمرٍ متفقٍ عليه بين السابقين واللاحقين، لا يُتيح الانتقاد به حلًّا لإشكال، ولا ثُمر حكايته

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٣/٨).

(٢) ينظر: كتاب العين (١١/٢)، (٤/٨)، (١٥٠)، (٨/٤)، (٣١٠/٨) وغيرها.

(٣) ينظر: المقدمة السادسة للتحرير والتنوير (١/٥٢، ٦٢).

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة (١/٤٩٢).

(٥) ينظر: تفسير الطبرى (١/٥٣٢).

(٦) ينظر: الهدایة إلى بلوغ النهاية (٣/٢١٩٦).

(٧) ينظر: شرح الهدایة (٢/٤٥٣، ٢٢٦، ١٧٩، ٨٧/١).

(٨) المحرر الوجيز (٢/٤٦٢).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

فك الإعمال، وهو قولهم: أن هذه القراءات مقروء بها ولا يجوز الطعن فيها، ولا التجاسر عليها، وأن اللغة تحاكم إلى القرآن ولا يحاكم القرآن إليها، وهو كلام منضبط لكنه لا يصلح أن يكون نقداً لأن صاحب المسلك المخالف لا ينكره، ولا يخفى عليه مثله.

وإذا أرجعت البصر لوجدت أن المتتصدرين لانتقاد الأئمة ليسوا ثوب (الدفاع عن القرآن)، وهذا لازمه أن الأئمة تهجّموا على القرآن، وتجاسروا عليه، وذلك لا يقبله جاهل من جهال المسلمين على نفسه، فكيف الظن بعلمائنا وأئمتنا، وما إحال أمثال هذه الاتهامات إلا إبانة واضحة عن غياب المنهج في تلك القضية، وتبريراً معسولاً لعجزنا عن اكتشاف المنهج !!

إن النقد المنهجي يأبى أمثال تلك الدعاوى، ويُوجِّب علينا قبل أن ننتقد الأئمة أو غيرهم أن نخطو الخطوات الالزامية لصحة النقد خطوة خطوة، ولا يحصل ذلك إلا بقراءة واستقراء الموضع التي انتقادها كل واحد منهم، ودراستها وتحليلها، والنظر فيها متفرقة ومجمعة، مع دراسة تاريخ العلم ومصطلحاته في زمانهم، والتطورات التي لحقته بعدهم، إلى آخره، وأن نضرب أول كلام كل إمامٍ باخره، ونوازن بين إنكاره للقراءات، وانتقاده في ذات الوقت لمن أنكر، عسى أن يفتح لنا فيئينَ لنا منهجهم، وتنكشف لنا دواعيهم، وتسفِّر لنا عللهم، ويظهر لنا ما كان مخبوءاً، ويبين لنا ما كان خافياً، وذلك طريق طويل شائك، ولكنه ممتع وشائق، وهو الطريق الذي يجب أن تسلكه الدراسات في هذا الباب.

ولقد كنت أحْجِم كثيراً عن ذكر مثل هذا؛ لكثرة القائلين به؛ ولأنَّ المخالف يصِّمُ من سلكوا هذا المسلك بالتكلف، وتقديس الأئمة، ويطلب

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

في التوِّ واللحظة الإبانة عن المنهج، مع أنها ليست في مقدور شخص واحد، حتى وفقي الله للوقوف على نص نفيس لإمام كبير، يُرِّزُ شيئاً من المنهج، ويقضِّ طرفاً من قصته، فطَرِّزْتُ به فرحاً، وشَغَفتُ به حبَاً، وصرت أختبئ خلف أسواره، وأتحضن بنصاعة حجته، وسأذكره بطوله وإن كان المقام يقتضي الاختصار - لما له من أهمية في الكشف عن المنهج.

قال أبو إسحاق الشاطبي: «وربما يظن من لم يطلع على مقاصد النحوين أن قولهم: "شاذ" أو "لا يقاس عليه" أو "بعيد في النظر القياسي"، أو ما أشبه ذلك = ضعيف في نفسه وغير فصيح، وقد يقع مثل ذلك في القرآن؛ فيقومون في ذلك بالتشنيع على قائل ذلك، وهم أولى -لعمر الله- أن يُشنّع عليهم، ويُمَال نحومهم بالتجهيل والتقييح، فإن النحوين إنما قالوا ذلك؛ لأنهم لما استقرروا كلام العرب لقيموا منه قوانين يُحدّى حذوها، وجدوه على قسمين:

- قسم سهل عليهم فيه وجه القياس، ولم يعارضه معارض؛ لشياعه في الاستعمال، وكثرة النظائر فيه فأعملوه بإطلاق؛ علمًا بأن العرب كذلك كانت تفعل في قياسه.

• وقسم لم يظهر فيه وجه القياس، أو عارضه معارض لقلته وكثرة ما خالفه، هنا قالوا إنه "شاذ" أو "موقوف على السماع" أو نحو ذلك؛

بمعنى أننا نتبع العرب فيما تكلموا به من ذلك ولا نقيس غيره عليه، لا لأنه غير صحيح، بل لأننا نعلم أنها لم تقصد في ذلك القليل أن يقاس عليه، أو يغلب على الظن ذلك، وترى المعارض له أقوى وأشهر وأكثر في الاستعمال، هذا الذي يعنيون، لا أنهم يرمون الكلام العربي بالتضعيف

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

والتهجين، حاش الله، وهم الذين قاموا بفرض الذب عن ألفاظ الكتاب، وعبارات الشريعة، وكلام نبينا محمد؛ فهم أشد توقيراً لكلام العرب، وأشد احتياطاً عليه ممن يغمز عليهم بما هم منه براء، اللهم إلا أن يكون في العرب من بعده عن جمهرتهم، وبأيَّن بحبوحة أوطنهم، وقارب مساكن العجم، أو ما أشبه ذلك ممن يخالف في بعض كلامها، وأنحاء عباراتها فيقولون: هذه لغة ضعيفة، أو ما أشبه ذلك من العبارات الدالة على مرتبة تلك اللغة في اللغات، فهذا واجب أن يُعرَف به، وهو من جملة حفظ الشريعة والاحتياط لها، وإذا كان هذا قصدهم وعليه مدارُهم، فهم أحقُّ أن يُنسب إليهم المعرفة بكلام العرب ومراتبه في الفصاحة، وما من ذلك الفصحى قياس، وما ليس بقياس، ولا تضر العبارات إذا عرف الاصطلاح^(١)

وما ذكرته في مسألة إنكار القراءات، يُقال مثله في كثير من المسائل المُشكلة التي تخفي مناهج الأئمة في التعامل معها، كالإسرائيليات، والمرويات الضعيفة، وغيرهما، ولستُ مع الإسرائيليات ولا ضدّها، ولكنه شيء يستفزُ العجب، ويستثير الدهشة، أن تُنجز عشرات الدراسات في انتقاد كثير من المفسرين، والتشنُّع عليهم في إبراد الإسرائيليات،

(١) المقاصد الشافية (٤٥٦/٣) وقال أيضاً (١٨٢/٤) ولا يلزم من عدم القول بالقياس في هذه الأشياء الواقعية في القرآن الكريم، أن يكون عدم مراعاة للفظ القرآن، أو إخراجاً له عن الفصاحة، أو نحو ذلك، كما يظن من لا تحقيق له ! بل هو في أعلى الدرجات في الفصاحة، لكنه لم يكثُر مثله في قياس عليه، وعلى هذا بنى سبيوبيه والمحققون، وهو الصواب.

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

ورواية ضعيف المرويات، ولا تنجز دراسة واحدة -فيما أعلم- في بيان علل الأئمة في إيرادها ومنهجهم في روایتها، وكيفية تعاملهم معها، وهل اعتمدوا عليها، أم استأنسوا بها، أو أدخلوا ما تتضمنه من معنى صحيح تحت عموم الآيات، وغيرها من النقاط الالازمة لصحة نقدمهم^(١).

المظهر الثاني: الحكم على تفسير جمهور السلف بأنه أباطيل وخرافات:

لما كان النقد ميزاناً توزن به الأقوال، ومقاييساً تُعرف به صحة الآراء أو ضعفها، لزم أن يكون نقداً منهجياً مثِّراً، مؤسساً على أصول راسخة،

(١) أتتَّرَسُ هنا في مسألة الإسرائييليات بـ:

أ) قول الإمام ابن عطية في مقدمة تفسيره «لا ذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به» المحرر الوجيز(١/٩)

ب) وبقوله في قصة قتل داود لجالوت: «وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وذلك كله لين الأسانيد، فلذلك انتقى منه ما تنفك به الآية، وتعلم به مناقل النازلة، واختصرت سائر ذلك» المحرر الوجيز (٢/١٧)

ج) وبقول ابن كثير بعد إيراده لخبر غريب عجيب في قوله تعالى ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِإِشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤] «هذا أثر غريب وفي صحته نظر، وتزويل الآية عليه وفي حقه، يعني أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا، كما جرى لهذا المغدور المفتون، ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بعنة وحيل بينه وبين ما يشتهي»
تفسير ابن كثير (١١/٣٠٢)

وهذه التّنّوّل مصادمة تماماً لتأصيلات بعض المعاصرين، وما هي إلا إشارات من الأئمة على الطريق، تخبر عن خلل فيما ترسّخ لدينا من مقررات تجاه هذه القضية، وتنبه عن أن وراء الأكمة ما وراءها، وأنّ في أعماق البحر لآلئ تحتاج إلى من يغوص لاستخراجها.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وقواعد ثابتة، لا أن يكون نقداً جُزافياً لا خطام له ولا زمام، ولا قاعدة له ولا أساس.

ومن الأمور المنهجية في النقد التي لا يُماري فيها إلا مكابر، ولا يكابر فيها إلا معانٍد، أنَّ وقوع الخطأ من أفراد أهل العلم في بعض المسائل أمرٌ سائعٌ متقرِّرٌ، يقرِّره الواقعُ العلوم والفنون، وأما جماهير أهل الفن الواحد وأكثر علمائه فإن ساغ وقوعهم جميعاً في خطأ، فلا يبلغ التدَّني بهذا الخطأ أن يكون خرافَةً أو باطلًا، لا سيما إذا لم يخالفهم في زمانهم ولا فيما بعده مخالف، فوضُفُّ قولهم - والحالة هذه - بالخرافَة محض خرافَة، ووضُمُّه بالباطل عينُ الباطل.

وقد وقع في هذه الخرافَة النقدية بعضُ من تصدَّى لنقد تفسير السلف، فقد تعرَّض السلفُ لبيان وتفسير لفظة (الرَّعد) من قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَّبَبِ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ۱۹] ففسَّر جمهور السلف (الرَّعد) بقولهم «مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ، مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ بِصَوْتِهِ، مَلَكٌ يُؤْمِرُ بِإِذْجَاءِ السَّحَابِ وَيُؤْلِفُ بَيْنَهُ فَذَلِكَ الصَّوْتُ تَسْبِيحُهُ، مَلَكٌ يَسُوقُ السَّحَابَ كَمَا يَسُوقُ الرَّاعِيَ الْغَنَمَ»^(۱). وقد روَى هذا التفسير عن علي بن أبي طالب رض، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأبي ذر رض، وعن ابن عباس رض من طرق كثيرة، وفسَّرَه بذلك مجاهد، وأبو صالح، وشهـر بن حوشـب، وعكرمة، وقتادة^(۲)، وذكر ابن عبد البر أنَّ هذا قول جمهور أهل العلم من

(۱) ينظر: تفسير الطبرـي (۱/ ۳۵۷- ۳۶۰)

(۲) ينظر: (الدعاء للطبرـي (۲/ ۱۲۶۳) برقم: ۹۹۰)، ومكارم الأخلاق للخرائطي
==

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

أهل الفقه والحديث^(١) ولم يُعرف لهم في ذلك مخالف، وروي هذا المعنى أيضاً مرفوعاً في عدة أحاديث تُكلِّمُ فيها^(٢). وقد استغربَ بعض المتأخرین في العصر الحديث تفسير الرعد بأنه مَلَكٌ يزجر السحاب بصوته، أو أنَّ صوت الرعد ناتج من ضرب الملك للسحاب، وعدُوه من الإسرائیلیات الباطلة، والأکاذیب الملفقة، كالشيخ محمد عبده، وتابعه الشيخ محمد رشید رضا^(٣)، والشيخ محمد أبو شهبة^(٤)، والدكتور حاکم عبیسان المطیری^(٥).

يقول الشيخ محمد عبده: «الرعد هو الصوت المعروف الذي يُسمع في السحاب... وقال مفسرنا الجلال السيوطي: إن الرعد مَلَكٌ أو صوته، والبرق سوطه يسوق به السحاب، لأن الملك جسم مادي؛ لأن الصوت

==

(ص: ٣٣٠)، الجامع الصحيح للترمذی (ح: ٣٨٢٢، ٦٧٩/٥) تفسیر الطبری

(١/٣٣٩) ت: شاکر، تفسیر ابن أبي حاتم (٥٥/١) كتاب العظمة (٤/١٢٨٥)

وغيرها

(١) الاستذکار لابن عبد البر (٨/٥٨٨).

(٢) ينظر: مسنَد أَحْمَد (١/٢٧٤، ح: ٢٤٨٣) جامِع الترمذی (٥/٢٩٤، ح: ٣١١٧)،

السِّنَنُ الْكَبِيرُ لِلنَّسَائِيِّ (٥/٣٣٦، ح: ٩٠٧٢)، المَعْجمُ الْكَبِيرُ (١٢٤٢٩، ح: ٤٥/١٢)،

الْمَعْجمُ الْأَوَسْطُ (ح: ٧٧٣١، ٣٦٠/٧)، الإِصَابَةُ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجْرٍ (٤/٧٦٠).

(٣) ينظر: تفسیر المنار (١/١٤٦، ١٤٧).

(٤) ينظر: الإسرائیلیات والموضوعات في كتب التفسیر للشيخ أبو شهبة (ص: ٢٩٥).

(٥) ٢٩٩.

(٥) ينظر: دراسة حديثة نقدية لحديث الرعد ملك، للدكتور حاکم عبیسان المطیری

(ص: ٧٠) وما بعدها.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

المسنون بالآذان من خصائص الأجسام، وكأن السحاب حمارٌ بليدٌ لا يسير إلا إذ زُجر بالصراخ الشديد والضرب المتتابع، وما ذكرناه هو الذي يفهمه العرب من اللفظين، وهو الذي يفهمه الناس اليوم، ولا يجوز صرف الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلا بدليل صحيح... ولكن أكثر المفسرين ولعوا بحشو تفاسيرهم بالموضوعات التي نصّ المحدثون على كذبها، كما ولعوا بحشوها بالقصص والإسرائييليات التي تلقفوها من أفواه اليهود، وألصقوها بالقرآن لتكون بياناً له وتفسيراً، وجعلوا ذلك ملحاً بالوحى»^(١).

وليس هذا موطن نقاش كلامه^(٢)، ولكن أيعقل في النقد المنضبط أن يكون كل هؤلاء وقعوا في الخرافة، ثم أيعقل أنَّ من جاء بعدهم فاعتبر كلامهم، وقبل تفسيرهم، وبين مرادهم وقع في الخرافة أيضاً، وهل يعقل أن يخالف كل هؤلاء اللغة المعروفة عند الناس. سبحانه هذا بهتان عظيم !!! إن أدنى نظرة إلى تفسيرهم تُنبئ أنه لا تعارض بين كون الرعد هو الصوت المعروف الذي يُسمع في السحاب، وبين كون هذا الصوت ناتجاً عن سوق الملك للسحاب^(٣)، وقد عرض هذا التفسير على عالم من أكبر علماء الأمة، ومن أوفرهم ذكاء، فلم يرتبه فحسب، بل جعله

(١) تفسير المنار (١٤٦/١).

(٢) ينظر تفنيد كلامه في: اختلاف السلف في التفسير (ص: ٣٧٩).

(٣) قال ابن تيمية «الرعد هو الصوت المسنون من السحاب، والحركة توجب الصوت، والملائكة هي التي تحرك السحاب، وتنقله من مكان إلى مكان، وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة» مجموع الفتاوى (٢٤/٢٦٣).

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

في أعلى مراتب القوة والمتانة فقد قال الشافعي عن تفسير مجاهد للرعد بأنه ملك: «ما أشبه ما قال مجاهد بظاهر القرآن»^(١) يعني قوله تعالى ﴿فَالْمُدِّرَاتُ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]^(٢).

والشافعي - بلا ريب - أفهم لكلام السلف، وأقرب لفهم مرادهم من غيره، وأعرف بمسالكهم ومناهجهم، فقوله هو المعتبر، وعلى هذا القول الذي استحسنه وجَوَّده جماهير السلف، وجمهور أهل الفقه والحديث فهل كان كُلُّ هؤلاء الأعلام على مِرِّ كُلِّ تلك القرون في غفلة عن تلك الأباطيل والخرافات والأكاذيب التي فطن لها المتأخرون؟!

المظهر الثالث: قلة الخبرة بطريقة المفسرين في معالجة الأقوال وكيفية التعامل معها.

من المسلمات المنهجية في مجال علم التفسير، أنَّ المنهج التفسيري يجب أن ينشأ نتيجة تصوُّر معين لأصول هذا العلم ومبادئه الأساسية، ذلك أنَّ مناهج التفسير ليست سوى مظاهر عملية لتلك الأصول والمبادئ، أو هي صورة تطبيقية تعكس وعي المفسر بتلك الأصول، ومدى احتكامه إليها، وكيفية تطبيقها على التفسير، ومن ثُمَّ فإنَّ العملية التفسيرية تتكون من أصول نظرية عامة، تُصاغ منها أسسٌ منهجية، تساعد المفسر على عرض معاني الآيات وما تحمله من أحكام، وما تكتنزه من دلالات.

(١) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي (٣٨٧/١).

(٢) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٥٦٣/٢).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وهذه المكونات الثلاثة: الأصول، والمنهج، والمفسر، هي التربة الحاضنة لأي عمل تفسيري^(١).

وذلك يعني أنَّ نقد المفسرين مرهونٌ أولاً بالفهم، أي: بفهمِ مكوِّنات مناهجهم، ومعرفةِ أصولِهم، والخبرة الواسعة بمبادئِهم، سواء منها ما كان أمراً مشتركاً بين عامة المفسرين، أو ما كان نهجاً خاصاً انتهجه أحدُهم، وبمقدارِ الاقتراب من مناهجِهم، والمعرفة الواسعة بمبادئِهم، والتعمق في فهمِ أصولِهم، ودوامِ التأمل في صنيعِهم، وكثرةِ التعلُّل في مكامنِ أقوالِهم = تكون الإصابة في فهمِهم، ثم في انتقادِهم.

ومن الأصول المنهجية المهمة التي يغفل عنها بعض المتعرضين لنقد التفسير: ظاهرة الاحتمالات عند المفسرين، وكون الأقوال المحتملة في حيزِ الإمكان، وفي دائرةِ الجواز العقلي، مع تفاوتها بعد ذلك في الاحتمال قوَّةً أو ضعفاً، ذلك أنَّ القرآن، كما يقول ابن عباس رضي الله عنه: «ذُلُول حَمْوُلُ ذو وجوهٍ»^(٢) فالكلمةُ الواحدةُ تعطي أكثرَ من معنى في السياق الواحد، والجملة الواحدة تُفِيضُ بدلاليتِ ومعانٍ كثيرةً، وهذا من خصائصِ القرآن، حتى قال أبو الدرداء: «إِنَّكَ لَنْ تَفَقَّهَ كُلَّ الْفَقِهِ حَتَّى تَرِي لِلْقُرْآنِ وِجْهًا»^(٣).

قال السيوطي: «وقد فسَّرَهُ بعضُهم بأنَّ المراد: أن يرى اللفظ الواحد

(١) إشكالات في منهج التفسير. د/ فريدة زمرد، مقال منشور بملتقى أهل التفسير بتاريخ ١٤٣٠ هـ / ٥ / ٥
<http://www.tafsir.net/vb/tafsir15867>

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/٥٦٠).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٤٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/٢٥٥).

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

يحمل معاني مُتعددة، فيحملها عليها إذا كانت غير متضادة، ولا يقتصر به على معنى واحد^(١)

وهذا الاحتمال أدخل إلى ساحة التفسير كثيراً من الأقوال التي تشتراك في احتمال الآية لها بصورة أو بأخرى، فما كان منها صحيحاً قطع المفسرون بصحتها، وما كان منها ضعيفاً قطع المفسرون بضعفه، وما كان منها محتملاً ممكناً غير مناقض ولا معارض لما ثبت صحته، لم يتعرضوا له بالانتقاد، وأبقوه في دائرة الجواز والإمكان، ومن لم يعرف طريقتهم تلك، ولم يفقه صنيعهم في هذا، ولم يخبر منهجهم في ذلك = انتقدتهم وشنّع عليهم، ووضّلهم بإدخال الدخيل في التفسير، وردد ما لم يتمكنوا من رده، وانتقد كثيراً مما توّقفوا فيه، وضيق ما وسعوه.

فهذا بحث تلميح صاحبته إلى أنَّ الطبرى لو كان في عصرنا للحقه الاتهامات بالعملة والموالة للصهاينة فتقول: «ولقد انساق ابن جرير وراء ترديد الإسرائيليات التي لو ردَّها في عصرنا لَلْحَقَّتْ به الاتهامات القاسية. ففي تعليقه على المقصود بـ﴿الْأَرْضَ الْمُقدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١] يقول «غير أنها لن تخرج عن أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعرش مصر؛ لإجماع جميع أهل التأویل والبیان والعلماء بالأخبار على ذلك» فتحديد الطبرى لموقع الأرض المقدسة بما بين الفرات وعرش مصر، لا يختلف كثيراً عما جاء في سفر التكوين ١٥/١٨، وهو ما يُردّه صهاينة العصر الحديث من مزاعم تمتد من النيل إلى الفرات^(٢)

(١) الإنقان في علوم القرآن للسيوطى (٤٤٦/١).

(٢) الإسرائيليات في تفسير الطبرى (ص: ١٤٧)

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وإذا رجعنا إلى الطبرى في ذلك الموضع وجدناه يقول: « ثم اختلف أهل التأويل في الأرض التي عناها بالأرض المقدسة، فقال بعضهم: عنى بذلك الطور وما حوله... وقال آخرون: هو الشام، وقال آخرون: هي أرض أريحا، وقيل: إن الأرض المقدسة دمشق وفلسطين وبعض الأردن... قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدسة كما قال نبى الله موسى عليه السلام؛ لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعيش مصر؛ لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك»^(١).

فالخلاف بين العلماء في تحديد الأرض المقدسة لم يخرج عن هذه الأقوال، والطبرى صرّح بأنه ليس هناك دليلٌ صريحٌ يُعيّنُ قولًا من هذه الأقوال، وأنها في حيّز الاحتمال، غير أنها لن تخرج عن مجموع هذه الأقوال؛ لكون العلماء مجتمعين على كونها منحصرة في دائرة هذه الأقوال، وأنَّ مجموع هذه الأقوال يعطي ما قاله الطبرى، فهل يُعاب الطبرى لمجرد أنه ذَكَر مجموع أقوال المفسرين في الآية؟

ولو نظرنا لوجدنا بعض المعاصرين - بتطبيقاته العملية وبتصريحة كذلك - صيئ الإسرائيّيات قسمين، وأسقط منها القسم الثالث، وهو ما لم يظهر صدقه ولا كذبه، ولم تُعلم موافقته للشرع ولا مخالفته، مع أنَّ

(١) تفسير الطبرى (٢٨٦/٨).

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

أهل العلم نصوا على وجوب التوقف فيه، وجواز حكايته، ومرد هذا إلى عدم التبصر بقضية الاحتمال وأثرها في التعامل مع تلك الأقوال.

إن المفتي كما لا يمكنه رد ما ثبت صحته، ولا قبول ما ثبت خطأه، لا يمكنه كذلك رد ما كان محتملاً من الأقوال، طالما كان له وجهة من الاحتمال، وطالما كان في حيز الجواز والإمكان العقلي، غير مناقض لما ثبت صحته في الآية من المعاني.

فها هو إمام الصنعة ابن جرير يرجح تفسير المقام المحمود بالشفاعة كما بيَّنت ذلك الأحاديث، وينقل مع ذلك تفسير مجاهد أن المقام المحمود إجلالُ محمد ﷺ على العرش، ثم يقول بعد ترجيحه القول بأنه الشفاعة: «وهذا وإنْ كان هو الصحيح من القول في تأویل قوله عَسَى أَنْ يَعْثِكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً» [الإسراء: ٧٩] لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، فإنَّ ما قاله مجاهد من أنَّ الله يُقعد محمداً ﷺ على عرشه، قولٌ غير مدفوع صحته، لا من جهة خبرٍ ولا نظرٍ، وذلك؛ لأنَّه لا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك»^(١) فلما كان القول غير محال وقوعه، وداخلًا في حيز الإمكان لم يتجرأ الطبرى على ردّه؛ لأنَّه كما لا يستطيع إثباته لا يستطيع نفيه، وقد أوضح عن المنهج في مثل هذا الإمام الطوفى في قانونه الذى وضعه ليتوصل به إلى علم التفسير، وكان مما ذكره في كلامه عن التأویل المختلف فيه، قوله: «... وإن لم يشتمل على التناقض، بل كان

(١) تفسير الطبرى (٥١/١٥) ويراجع تسمة كلامه.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

مجرد اختلاف، وتعدّد أقوالٍ، فإن احتمال اللفظُ جميعها، وأمكن أن تكون مُرادَةً منه، وجب حمله على جميعها ما أمكن، سواء كان احتماله لها مساوياً، أو كان في بعضها أرجح من بعض، وإلا فحمله على بعضها دون بعض إلغاء للفظ بالنسبة إلى بعض محتملاته من غير موجب، وهو غير جائز؛ ولأنَّه لو جاز أن يكون مراداً، فإعمال اللفظ بالنسبة إليه أحوط من إهماله، نعم إنْ كان احتمالُ لها متفاوتاً في الرِّجحان، جاز في مقام الترجيح تقديم الأرجح فالأرجح بحسب دلالة اللفظ عليه، أو جلالة قائله، أو عاصِدِه الْخَارِجي، وغير ذلك من وجوه الترجيحات.

ومثال ذلك: أعني احتمال اللفظ للوجوه المتعددة قوله تعالى... وكذا قوله تعالى ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قيل: هو الشفاعة، وقيل هو الوسيلة، وقيل: يجلسه معه على العرش، وقيل غير ذلك، إلى اثني عشر قولاً، واللفظ يحتملها، وإرادتها جائزة، واجتماعها ممكناً؛ إذ لا مانع من أنَّ الله تعالى يقبل شفاعته، ويعطيه الوسيلة، ويجلسه معه على العرش... .

وقد حُكِي عن محمد بن شacula أنه قال: لو حلفَ حالف بالطلاق أنَّ الله تعالى يجلس محمدًا معه على العرش لما حنته.

وأعلم أن هذا القول منه، ليس لأن هذا الإجلال مقطوع به؛ بل لكونه ممكناً جائز الواقع والإرادة من اللفظ، وإنما المقطوع به المقام المحمود في الجملة، أما خصوص هذا الإجلال، أو غيره من الأقوال سوى ما توالت به السنة، أو استفاضت من الشفاعة فلا، وإنما لم يحيثه أبو إسحاق، لما ذكرناه من الإمكانيَّة، ولكون صحة النكاح وثبوته متيقناً، فلا يحکم بدفعه بأمرٍ محتمل... واعلم أنَّ التزام هذا القانون في التفسير يدفع

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

عنك كثيرا من خطط المفسرين بتباين أقوالهم واختلاف آرائهم»^(١).

وليت شعري، أين نقاد اليوم من مثل هذا؟! وهو كلام نفيّس حريٌ أن يُكتب بماء العيون لمن أشقاهم البحث عن المنهج، وولعوا بالتنقيب عنه وسط الأمواج المتلاطمـة.

أُراني أطلت، ولكنها إطالة لازمة لتقرير المنهج.

المظهر الرابع: ذهول الناقد عن بعض قضایا أصول التفسير.

لكل علمٍ أصولٌ يقوم عليها، ويستند إليها، وينطلق من خلالها، ويفهم على ضوئها، فهي التي تحديد مساره، وتوجه سيره، وتقوّم مسيرته، وتجمع معايده، وتحيط بداخله ومخارجه، فمن رام أيّ فنٍ من الفنون أو علمٍ من العلوم، دون أن يتضلع بأصوله، ويتشرب مقاصدَه، ويدرك غاياته، أغلق عليه فهم كثير من مسائله، وأشكلت عليه كثير من قضایاه، واضطربت رؤيته لذلك العلم، فربما أفسدَ من حيث أراد الإصلاح، وأضرَ من حيث ابتغى النفع، فمن ترك الأصول حرم الوصول.

ومن الأصول المهمة في علم التفسير معرفةُ أساليب المفسرين، والطرق التي تناولوا بها تفسير القرآن الكريم، مع التفريق بين كلِّ أسلوب منها، ومعرفة فلسفتهم في العدول عن أسلوبٍ إلى أسلوب، وأيُّ أسلوب منها كان أكثر استعمالاً وانتشاراً. إلى غير ذلك من الأمور المعتبرة عندهم.

وإن التعرّف على تلك الأساليب أمر بالغ الأهمية؛ إذ بواسطته يستطيع

(١) الإكسير في علم التفسير (ص: ٤١ - ٤٣) باختصار يسير.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الباحث فهم أقوال المفسرين، ويحسن التعامل معها، وإلا وقع في مزالتق كبيرة، وتوجه توهماتٍ لا واقع لها ولا أثر.

وإن الناظر إلى أقوال المفسرين دون معرفته بالتفسير على المعنى مثلاً، وما يندرج تحته من تفسير باللازم أو بالمثال، سيحكم على أقوالهم بالتعارض والتناقض حيث لا تناقض ولا تعارض، وسيدعى خلافاً حيث لا خلاف، وسيسقط أقوالاً كثيرة لتوهم فسادها - في نظره -، وسيحكم بخطئه مفسرين كثير على غير أساس علمية، وما أوقعه في هذا الخطأ إلا عدم درايته بتلك.

وإنما نَجَمَ الخطأ من عدم معرفته بتلك الأساليب، أو بسبب ذهوله عنها، فلو تتبَّعَ لها لرأى كثيراً من أقوالهم متفقةً مُنسجمةً، ولرأى في تنوّعِها وتعديدها إثراً لمعنى الآية، وزيادة بيان لها^(١).

وقد أشار إلى ذلك ابن القيم فقال: «... وهكذا غالبُ المفسِّرين يذكرون لازمَ المعنى المقصودِ تارةً، وفرداً من أفراده تارةً، ومثلاً من أمثلته، فيحكيها الجماعون للغَيْ والسمين أقوالاً مختلفة، ولا اختلاف بينها»^(٢).

ولنأخذ مثلاً تطبيقياً يضع أيدينا على مظاهر الخلل الن כדי الذي نحن بصدده.

(١) ينظر: اختلاف السلف (ص: ٦١).

(٢) بدائع التفسير (٤/٣٥٠).

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

انتقدَ بعضُ الفضلاء^(١) ابن عطية بميله للاعتزال، أو بأنه يقدّر ما ذهبت إليه المعتزلة في نفي رؤية الله تعالى وعلل ذلك بكون ابن عطية ذكر قول المعتزلة في تفسير الزيادة، وذكر طرق ترجيحه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦] ومعلوم أنَّ المعتزلة يفسّرون ﴿الْحُسْنَى﴾ بأنَّ المراد بها المثوبة الحسنة، والزيادة بالفضل بزيادة الشواب ومضاعفته، فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه^(٢) في الشواب. ولنُصْغِ إلى ابن عطية لنظر ما قال، ثم نعود لتحليل ذلك الانتقاد، قال ابن عطية: «و قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦] الآية، قالت فرقة وهي الجمهرة: ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وروي في نحو ذلك حديث عن النبي ﷺ، رواه صحيب، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وحديفة وأبي موسى الأشعري، وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة. وقالت فرقة: ﴿الْحُسْنَى﴾ هي الحسنة والزيادة هي تضييف الحسنات إلى سبعمائة فدونها، حسبما روی في نص الحديث وتفسير قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُضَعِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهذا قول يغضده النظر، ولو لا عظيم القائلين بالقول الأول لترجمح هذا القول، وطريق ترجيحه: أنَّ الآية تتضمن اقترانا بين ذكر عمَّال الحسنات وعمَّال السيئات، فوصف المحسنين بأنَّ لهم حسنة وزيادة من جنسها، ووصف المسيئين بأنَّ لهم بالسيئة مثلها، فتعادل الكلامان»^(٣).

(١) ينظر: التفسير والمفسرون (٢٠٩/١).

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص: ١٧٧)، الكشاف (٣٤٢/٢).

(٣) المحرر الوجيز (٤/٤٧٣، ٤٧٤).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

فالقول الذي قال عنه ابن عطية « وهذا قول يغضبه النظر...» الخ، هو قول المعتزلة، ولذا انتقد ابن عطية بميشه لمذهب الاعتزال، أو بتقاديره لقولهم في الرؤية.

والحق أن الأمر ليس كذلك، والنظر إليه من عدة جهات، لو تم النظر إليها ما آل الأمر إلى اتهام ابن عطية بالاعتزال:

الجهة الأولى: أن تفسير **﴿الحسنة﴾** بالحسنة، والزيادة بتضعيف الحسنات، مروي عن السلف، فقد نقله الطبرى عن ابن عباس، وعلقمة بن قيس، والحسن البصري^(١)، ونقل ابن عطية تفسير علي بن أبي طالب للزيادة بغير الرؤية، فهل هذا معناه أنهم ينكرون الرؤية يوم القيمة، وأن المعتزلة ورثوا ذلك عنهم؟

ثم إن ابن جرير الطبرى، وابن كثير قبل ذلك التفسير أيضا^(٢)، ولم يحصلا معنى الزيادة في النظر إلى وجه الله الكريم، فهل هم كذلك على مذهب المعتزلة؟

والجواب: لا، وإنما مرد الأمر إلى الذهول عن أسلوب من أساليب التفسير. وبفهمه على وجهه يزول الإشكال

ذلك لأن تفسير النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، ليس تخصيصاً للزيادة بهذا المعنى وحصرها لها فيه، وإنما هو تفسير بالمثال، أريد به التمثيل لأعظم ما يدخل في معنى الزيادة، وهذا كتفسيره ﷺ

(١) ينظر: تفسير الطبرى (١٦٣/١٢)

(٢) ينظر: تفسير الطبرى (١٦٤/١٢، ١٦٥)، تفسير ابن كثير (٣٥٤/٧)

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

الكثير بأنه نهر في الجنة^(١)، وتفسيره القوة بالرمي^(٢)، فليس هذا منه حصرًا لمعنى الكثرة أو الرمي فيما فسر به، وإنما هو تمثيل لبعض الصور الدالة تحت المعنى العام لهما. وقد بين الطبرى وابن كثير عموم معنى الزيادة وشموله لكل الأقوال المذكورة، قال الطبرى: «...ومن الزيادة على إدخالهم الجنة، أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطينهم غرفة من لائى، وأن يزيدنهم غفراناً ورضواناً، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنة التي جعلها الله لأهل جناته، وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله ﴿وَزِيَادَةُ الْزِيَادَاتِ عَلَى الْحَسَنَاتِ﴾، فلم يختص منها شيئاً دون شيء، وغير مستنكراً من فضل الله أن يجمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله، فأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يعمّ كما عمّه عز ذكره»^(٣)، وبنحوه قال ابن كثير^(٤).

وإذن بما الإشكال عند المعتزلة إذن؟

والجواب: أن المعتزلة حصرت الزيادة في التضييف، مع نفيهم أن يكون مراداً بها النظر إلى وجه الله الكريم، وأما هؤلاء الأئمة ففسروا الزيادة بعمومها وما يدخل تحتها دون حصر لها في معنى بعينه، وهو عين ما فعله ابن عطية، وإنما حصل الإشكال من توهם أن الزيادة لا تفسّر

(١) صحيح البخاري في تفسير إنا أعطيناك الكثرة (ص ١٠٨٠، ح ٤٩٦٤).

(٢) صحيح مسلم، ك: الإمارة، باب فضل الرمي والتحث عليه وذم من علمه ثم نسي (٣٨٣/٣، ح ١٩١٧).

(٣) تفسير الطبرى (١٦٥/١٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٥٤/٧).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

بغير الرؤية، ظناً أن النبي ﷺ حصرها في الرؤية.

الجهة الثانية: أن ابن عطية لما ذكر مرجحات القول الثاني، إنما كان ينظر إلى سياق الآية المفسّرة ووضوح المقابلة بينها وبين لاحقتها، فهو يناقش قوله مرويًا، ويذكر مستنداته، ويبيّن الأوجه التي يمكن ترجيحه بها، فهو عرض للأدلة والحجج، وكذا فعل عند تفسير قوله تعالى ^(١) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرٌ﴾ [القيامة: ٢٣] فبين أن تأویل المعتزلة ساعٍ في العربية، لا قبولاً له ولكن بياناً لوجهه ومستنداته، وفرق كبير بين ذكر مستندات القول وحججه، وبين ترجيحه.

الجهة الثالثة: أنَّ ابن عطية رجح قول أهل السنة في رؤية الله تعالى يوم القيمة، وناقش المعتزلة، ورد عليهم وانتقد قولهم عند قوله تعالى ^(٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

المظهر الخامس: مخالفة المنهج في فهم المصطلحات وتطبيقاتها.

إنَّ من أهمِّ الطرق الموصلة إلى العلم معرفة اصطلاحات أهله، فالمصطلحات مفاتيح العلوم، وبوابة الدخول إلى قضياتها ومسائلها، وذلك أنَّ مفاهيم العلوم تتبلور عند ولادتها في مصطلحات، وتُعبَّر عن نضجها حين تنضج بمصطلحات، وتبلغ أشدَّها حين تبلغه بأساقِ من المصطلحات، إذ في المصطلحات البسيطة الصغيرة تسكن صغارُ العلم وجزئياته، وفي المصطلحات المركبة الكبيرة تُختَرُ كبارُ العلم وكلِّياته... والتبين والبيان لمفاهيم المصطلحات يُمكِّنُ العالم والمتعلم معاً من ناصية

(١) المحرر الوجيز (٤٧٩/٨).

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

العلم؛ ذلك بأنه يُعِد للمتعلم الراغب الطريق للفهم العميق، والتاريخ الدقيق للعلم^(١).

وإذا كانت المصطلحات تكتسب تلك الأهمية، وتحتاج بتلك المكانة الرفيعة، فذلك يوجب الحذر والحيطة عند دراستها، وبيان مفاهيمها؛ لكون الخطأ في ضبطها، وبيان مفاهيمها لا يعادل بالخطأ فيما سواها؛ إذ الخطأ فيها خطأ في مفاتيح العلم وكلياته ومعاقده، فهو خطأ يسري في معظم ما يندرج تحتها من جزئيات، ويتشير فيما تتضمنه من مسائل، وينعكس على ما تَكْتُبُه من قضايا.

وإنَّ من مظاهر الخلل النقيدي في بعض الدراسات المعاصرة: التعرُّض لانتقاد المفسرين والعلماء دون التدقير في مصطلحاتهم، والتركيز في تبيان مفاهيمهم، وتحرير مراداتهم، وفهم كلامهم وفق المعنى المشهور للمصطلحات، مما أنتج اضطراب الرؤية في تصوُّر بعض المسائل على وجهها السليم، وشدة الاختلافات في بعض قضاياها، وكثرة الانتقاد غير المحرج للعلماء والمفسرين.

ومن صور ذلك: حصر دلالة المصطلح المتسع الدلالة في بعض معانيه:

من الأمور التي تقع في خلل منهجي ونقيدي كذلك، أن يعمد بعض الباحثين إلى مصطلح استخدمه الأوائل في معانٍ متعددة، ودللات متنوعة، فيحصره في بعض معانيه، أو يقيّدُه ببعض إطلاقاته ودلالاته التي

(١) نظرات في المصطلح والمنهج، (ص: ١٥، ١٦) د. الشاهد البوشيخي.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

استقرت بعد تقييد العلوم وتدوينها، ثم يحاكمُ العلماء المتقدمين بعد ذلك إلى الدلالة التي رضي بها، وينتقدون بالمعنى الذي ربما لا يعرف من معاني المصطلح سواه، بل ربما ينطلق إلى التأصيل لفهمه، والتقييد لما رجحه من دلالات المصطلح، هادماً كلَّ ما خالف تقييده، وناقاً على ما شذ عن تأصيله.

ولندخل إلى رحاب مصطلح من المصطلحات لنرى كيف كان حاله، وإلام آل أمره، وقد اخترت لذلك مصطلح النزول.

نشأ هذا المصطلح في القرون الأولى على ألسنة مفسري السلف، حاملاً لأوجه كثيرة من الدلالات والمعانٍ، غير منحصر في معنى منها دون آخر، بل كان مِرْناً فَضَفَاضاً، تتحدد دلالته وفق سياقه الذي ورد فيه، وبحسب مقاصد قائله، والقرائن التي احتفت بكلامه، وكان في أغلب استعمالاته يدور حول معنيين:

الأول وهو الأكثر استعمالاً وشيوعاً: تفسير الآية وبيان ما يندرج تحت معناها العام من وقائع وأحداث وأحوال ومناسبات، يستوي في ذلك ما سبق نزولها من تلك الأحداث والواقع، أو قارنه، أو تأخر عنه، فيقولون: «نزلت الآية في كذا، أو حدث كذا فأنزل الله كذا، أو نزلت في فلان» إلى آخره، دون تقييد بزمن نزول الآية.

الثاني: التعبير بالنزول عن القصة أو الواقعة التي صاحبت نزول الآية، أو نزلت الآية بشأنها.

قال ولی الله الدهلوی: «... وقد ينقل المتقدمون من المفسرين أمثال هذه القصص والحوادث بغية استيعاب الآثار المناسبة الواردة حول تلك

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

الآلية، أو لبيان ما يصدق عليه العموم اللغطي من المعاني وليس من الضروري ذكر هذه القصص والحوادث كأسباب النزول؛ لأن فهم معنى الآية لا يتوقف عليها وقد تحقق لدى الفقير أن الصحابة والتابعين أجمعين كثيراً ما يقولون: نزلت الآية في كذا، ولا يكون غرضهم إلا تصوير ما تصدق عليه الآية من الأحداث والمعاني، وذكر بعض القصص والواقع التي تشملها الآية الكريمة لعموم لفظها، سواء كانت القصة متقدمة على نزول الآية أو متاخرة عنها، إسرائيلية كانت أو جاهلية أو إسلامية، تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها.

وقد تبين من هنا أن للاجتهاد مدخلان في هذا القسم الثاني من أسباب النزول، وأنه يتسع لإيراد القصص المتعددة، فكل من يستحضر هذه النكتة، يستطيع أن يعالج اختلافات أسباب النزول بأدنى نظرة وتأمل^(١).

(١) الفوز الكبير لولي الله الدهلوi (١٧٥، ١٧٦)، وتنظر استعمالات النزول عند السلف في: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ١١)، البرهان للزركشي (٣١/١).

يلاحظ أنَّ:

أ) المعنى الأول من باب الدراء، والثاني من باب الرواية، ولذا فباب الأول لا ينحصر إذ لا يتقييد بزمن الآية، وإنما يرتبط بالمعنى الذي تقيده، وباب الثاني منحصر بما وقع في زمن النبوة.

ب) أن العبارات المعبَّر بها عن المعنيين واحدة وليس هناك عبارة يتميز بها كل معنى عن الآخر.

ج) أن المعنى الثاني يؤُول إلى الأول ويندرج تحت عمومه كواحد من أفراده.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وهو كلام نفيس له تطبيقاته في كلام المفسرين^(١)، وعلى هذا فلا حرج على المفسر أن يفسر آية مدنية بحادثة مكية، أو آية مكية بحادثة مدنية، أو أن يقول: نزلت الآية في فلان وقد مات قبل نزولها، أو أن تفسّر الآية بمعنى أو بواقعة حصلت قبلبعثة أو بعد زمان النبوة.

وهذا التنظير غاب عن الواقع التطبيقي لكثير من الدراسات المعاصرة المنجزة في هذا الباب، وتصدر المعنى الثاني أغلب مباحث النزول، ووسيع المعنى الضيق في المصطلح، وأهميل المعنى المتسع أو ضيق، وكثُرت الخلافات بين روایات النزول بدعوى أنها كلها أسباب نزول، وانتفَدَ من فَسْرَ الآية المكية بحادثة مدنية أو العكس بكونه جاهلاً بالتاريخ، إلى آخره من أوجه مخالفة المنهج في فهم المصطلح وتطبيقه، ولعل الذي أدى لذهول البعض عن ذلك المنهج، تقسيم بعض المعاصرین^(٢) صيغ أسباب النزول إلى صيغ صريحة، وصيغ غير صريحة، وجعل الصيغ الصريحة نصاً في إفادة السببية لا تحتمل غيرها، والصيغ غير الصريحة

(١) قال ابن عطيه تعليقاً على من فَسَرَ قوله تعالى ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١] بأنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح: «وأما تفسير هذه الآية بقصة عبد الله بن أبي سرح فينبغي أن يُحَرَّر فإن جُلبت قصة عبد الله بن أبي سرح على أنها مثال، كما يمكن أن تجلب أمثلة في عصرنا من ذلك فَحَسْنَ، وإن جُلبت على أن الآية نزلت في ذلك فخطأ؛ لأن ابن أبي سرح إنما تبين أمره في يوم فتح مكة، وهذه الآية نزلت عقب بدر» المحرر الوجيز (٤/٢٤٥)، وينظر: أيضاً المحرر الوجيز (٤/٢٧٠).

(٢) هو الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في مؤلفه: مناهل العرفان في علوم القرآن (١٠٢/١، ١٠٣).

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

تحتمل سببية النزول وغيرها^(١)، وقد سرى هذا التقسيم في كثير من المؤلفات والبحوث رغم كون الأساس الذي بنى عليه تقسيمه غير صحيح، لكونه جعل أحد معنوي النزول أصلًاً قسم على أساسه العبارات المستخدمة في النزول لكلا المعنين، دون معيار واضح، يُبيّن سر اختياره أحد المعنين أصلًاً في التقسيم دون الآخر.

وما قيل في مصطلح النزول يقال مثله في مصطلح النسخ، واتساع معناه في التراث التفسيري، ووقف بعض الدراسات عند إطلاق واحد من إطلاقاته، وانتقاد إطلاقاته الأخرى، إلى غير ذلك من المخالفات المنهجية، ومما يؤسف له أن بعض أقسام التفسير في إحدى الجامعات العريقة اتخذت قرارًا يلزم فيه كل الباحثين الذين سجلوا رسائلهم العلمية في موضوع (الدخيل في التفسير)، باعتبار القراءات الشاذة من الدخيل في التفسير، وما هذا إلا بسبب التصور الخاطئ لمصطلح الشذوذ^(٢).

(١) ذكر الزرقاني في الصيغة الصريرة صيغة «سبب نزول الآية كذا»، وصيغة «حدث كذا فنزل كذا، أو فنزلت الآية»، وقد انتقده د/ خالد المزيني بكون صيغة «سبب نزول الآية كذا» لا وجود لها في واقع روایات النزول، فهو تظير لشيء لا واقع له، وانتقاده في الصيغة الثانية بإيراد كثير من الأمثلة فيها صيغة «حدث كذا فنزل كذا» وليس من أسباب النزول في شيء. ينظر: المحرر في أسباب النزول (١١٥/١: ١١٧).

(٢) توصف القراءة بالشذوذ لبيان قلة من قرأ بها، وخروجها من حيز التواتر إلى حيز الآحاد، لا اعتقاد ضعف القراءة، أو ضعف قارئها، أو عدم العمل بها، وقد احتاج بها بعض الفقهاء والمفسرين، وغيرهم من أهل العلم. ينظر: القراءات الشاذة وأثرها في التفسير (ص: ١٣).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

تلك بعض مظاهر الخلل النكدي التي أردت التنبيه عليها، ما قصدت من ذكرها إلا بيان خطورها على مسيرة الدراسات القرآنية وتعويق مسيرتها.

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

المبحث الثالث**ضوابط النقد**

النقد هو مصدر الحياة لكل علم وفن، وباب رقيه وتطوره، فهو الذي ينفع مسائله ويحرر قضياته، ويتم نقصه، ويعالج قصوره، ويميز غثه وسمينه، وجده وردئه، وهو كائن كذلك دوماً يوم يؤخذ بحقه، ويقوم على أصوله، وينضبط بمنهجه، ويحكم بضوابطه، فإن تجرد من ذلك كان مصدر الخلل ومكمن الخطر، ومعول الهدم، ولذلك تعينت العناية بضبطه، وإحكام ممارسته.

وقد أردت الإشارة إلى بعض الضوابط التي لا يصح النقد بدونها، ولا يؤتي أكله بالتخلي عنها، ولا أدعني أني أتيت على كل الضوابط الالزمة لصحة النقد، وإنما حسبي أن أشير إلى بعضها، بما يناسب طبيعة البحث.

الضابط الأول: ترك الانتقاد بالبداهات:

البداهة هي وضوح الأفكار والقضايا بحيث تفرض نفسها على الذهن؛ فهي المعرفة الحاصلة ابتداءً في النفس، لا بسبب الفكر، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين، والبداهي ما لا يتوقف حصوله على نظر وكسب^(١).

(١) ينظر: الكليات ص: ٢٤٨، المعجم الوجيز، مادة بده، ص: ٤١.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ومرادي بالبهيات هنا: المسلمات الشرعية، والمعارف الضرورية في كل علم، ومبادئ العلوم في كل فن، وما قاربها مما اشتهر أمره، وذاع بين الناس علمه، وصار من المتعذر جهله، وبلغ من الوضوح والجلاء بحيث لا يخفى على صغار الطلاب والمبتدئين، فضلاً عن العلماء الكبار.

إن من أكبر المثالب التي يقع فيها بعض المتعقبين لتفسيرات الأئمة والمستدرkin على أقوالهم، التخطئة بالبهيات، والتعقب بالأولياء التي لا يخفى مثلها على من بلغوا من العلم مبلغاً رفيعاً من عوام المسلمين، فضلاً عن العلماء وطلاب العلم.

ومثل هذه التعقبات جديرة بأن يعاد فيها النظر، وأن يقف الباحثون منها موقف النقد والرد، فإن في اعتمادها وتناولها اتهاماً لعقول الأئمة وعلومهم، واستهانة بعقلية المتعلم والقارئ من حيث يشعر قائلها أو لا يشعر.

وقد يكون القول الوارد عن بعض المفسرين جديراً بالتعقب، حقيقةً بالاستدراك والرد، لكن ليس كل رد أو تعقب يصح اعتماده والتسليم به، فليست القضية أن لا تتعقب المفسرين ولا نستدرك عليهم، كلا، بل القضية أن يكون الاستدراك والنقد موضوعياً، يقوم على أساس علمي، وقواعد متينة.

وقد نبهَ أئمننا على أهمية التحرز من الانتقاد بمثل تلك البهيات التي لا تخفي على أئمة العلم، وييكفينا هنا ما ذكره ابن كثير عند قوله تعالى *وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَدَكَ اللَّهُ رَمَى* [الأفال: ١٧] فقد ذكر أن الآية نزلت في شأن القبضة من التراب التي حصب بها النبي في وجوه الكافرين يوم بدر، ثم قال: «وَهُنَّا قُولَانَ آخِرَانَ غَرِيبَانَ جَدَّاً: أَحَدُهُمَا: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبي الحقيق بخير دعا بقوس، فأتى بقوس طويلة وقال [جيئوني بقوس غيرها]، فجاءوه بقوس كبداء فرمى النبي ﷺ الحصن، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل الله ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وهذا غريب وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير، ولعله اشتبه عليه، أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله، وإنما فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم والله أعلم»^(١).

ويظهر لي - والله أعلم - أن الانتقاد بمثل تلك البدعيات مردُه إلى أحد أمرين:

الأول: عدم وضوح مقصد المفسر للناظد، أو عجزه عن فهم مراده.

الثاني: توهم الناظد خطأ المفسر، مع عدم وجود تعقب عنده غير ما تعقب به.

ومن أمثلة التخطئة بالبدعيات ما أورده بعض العلماء في تعقب أقوال السلف في الحروف المقطعة، فقد ورد عن السلف في تفسير الحروف المقطعة أقوال كثيرة، كالقول بأنها: اسم من أسماء القرآن^(٢)، وكالقول

(١) تفسير ابن كثير (٤٢/٧).

(٢) ورد ذلك عن قتادة، وزيد بن أسلم وابن جريج، ومجاحد من طريق ابن أبي نجيح. ينظر: تفسير الطبرى (٨٧/١)، ابن أبي حاتم (٣٣/١)، (٥٤).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

بأنها أسماء للسور^(١)، وكالقول بأنها اسم من أسماء الله مقطعة بالهجة، فإذا وصلت كانت اسمًا من أسماء الله^(٢).

وقد تعقب بعض المفسرين هذه الأقوال بأن أسماء الله توقيفية، أو بأن اللغة لا تدل على ما ذكروه، أو بأنها ظنون، والظن لا يعني من الحق شيئاً^(٣).

ومثل هذه التعقبات لا يسوغ أن توضع موضع القبول، ولا أن يتناقلها الباحثون دون تأمل، فكون أسماء الله توقيفية من بديهيات العقيدة التي لا يسوغ نسبة عالم لمخالفتها، وكون اللغة لا تدل على ذلك مما لم يكن مثله خافياً على مفسري السلف، ولذا فهذا التعقب في غير محله، وهو أجدر بالرد والتعقب، لكون هذه التعقبات من البدعيات التي لا يماري فيها من انتقاد بها، وليس القضية الآن في كون أقوالهم في الحروف المقطعة مقبولة أو مردودة، وإنما القضية في هشاشة النقد، وكونه لا يقوم على ساق.

إن احترام عقلية الطرف الآخر أمر في غاية الأهمية يجب على الباحثين أن يولوه العناية، ولذا فعلى كل منتقد لغيره أن يضع عقله مكان من ينتقد، ويستدرك عليه، فلا ينتقد غيره بما لا يحب أن يُنتقد به.

(١) ورد ذلك عن زيد بن أسلم. ينظر: تفسير الطبرى (٨٧/١)، الدر المثور (٥٥/١).

(٢) ورد ذلك عن الشعبي. ينظر: تفسير الطبرى (٨٧/١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٢/١).

(٣) ينظر معنى هذا الكلام في: فتح القدير (١٠٤/١٠٧)، زهرة التفاسير (٩٧/١).

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

الضابط الثاني: عدم انتقاد قول المفسر مع إمكان تصحيحه بدون تكُلف.

إن النقد في جوهره حكم يصدره الناقد على أقوال المفسرين وغيرهم من أهل العلم؛ ولذا فإنَّ أمانة النقد تقضي أن لا يُرِد الناقد قوله إلا بعد تuder قبوله، واستحالة تصحيحه، حتى يكون عادلاً في حكمه، وغير ظالم بنته، وهذا يوجب على الناقد أن يجعل اهتمامه الأول منصباً على تصحيح القول وقبوله دون تكُلف ولا تعسُف. قال ابن تيمية: «ومن أعظم التقصير نسبة الغلط إلى متكلم مع إمكان تصحيح كلامه»^(١).

والناقد المستوعب لحقيقة عمله يتهم فهمه، ويعيد النظر في الأقوال مرة بعد أخرى، فيدرس الاحتمالات التي تحتملها، والمخارج التي يمكن أن تخرج عليها، والسياق الذي وردت فيه، عسى أن تبوح له بسرها، وتكشف له عن مكونتها، فيبرز له مقصد قائلها، أو يلوح له تأويل يتأنلها عليه أو يقوى عنده ضعفها.

وإن إحسان الظن بأئمتنا من أكبر الدوافع التي تدفع الباحث إذا ما أشكل عليه شيء في كلام أهل العلم، أن لا يبادر إلى تخبطهم، بل يحاول جاهداً أن يبحث عن تأويل يسوغ حمل الكلام عليه، ومخرج صحيح يزول به ما أشكل عليه، آبياً أن يفرط في قول من الأقوال ما لم تقو رماح الانتقاد الموجهة إليه، أو تکثر سهام التخطئة المصوّبة تجاهه، فإن لم يهتد إلى مخرج يحمل الكلام عليه أمكنه أن يتعقب وينتقد، أو يستدرك عليه بأدب جم وذوق رفيع.

(١) مجموع الفتاوى ٣١/١١٤.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

وهذا الجهد الذي يبذله الناقد أصعب ما في النقد، وأمتع ما فيه، ذلك أن تخطئة العالم أو رد قوله، أمرٌ قريب المنال، سهل المأخذ، مُمهَّدُ الطريق، أما معايشةُ قوله، والبحث عن مقصدِه، والتماس مخرج له، فهذا أمر بعيد المنال، صعب المأخذ، وَعَرِّطُ الطريق.

وللننظر بأعين عقولنا لنرى ناقداً من أئمننا وهو يغوص بعقله، ويستنفذ طاقات فكره في تصحيح قول كان من اليسير رده، ومن السهل نقه، عسى أن نتأسى به وننهج نهجه فيها هو ابن عطية عند قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [آل عمران: 141] يقول: «واستمر الإجماع على أنَّ الجهاد على أمَّةِ مُحَمَّدٍ فرضٌ كفاية، فإذا قام به مَنْ قام من المسلمين سقط عن الباقيين، إلا أن ينزل العدو بساحة للإسلام؛ فهو حيثُدُّ فرضٍ عَيْنٍ».

وذكر المهدوي وغيره عن الثوري أنه قال: **الجهاد تطوع**، وهذه العبارة عندي إنما هي على سؤال سائل، وقد قِيمَ بالجهاد، فقيل له ذلك **تطوع**^(١).

فقد ذكر ابن عطية حكم الجهاد ومتى يكون فرض عين، ومتى يكون فرض كفاية، ثم ذكر أن المهدوي نقل عن الثوري ما يوهم مخالفته لما أجمع عليه العلماء في حكم الجهاد.

وقد كان ميسوراً على ابن عطية أن يعتقد الثوري، ويبيّن شذوذ قوله؛ لكنَّ نظره الفاحص، وحسَّه الناقد لم يقنع بذلك، إذ نسبة سفيان إلى

(١) المحرر الوجيز ٥١٩/١.

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

مخالفة الإجماع في مثل هذا مع اشتهره ووضوحيه، أمرٌ متعذر فلم يبق إلا تصحيح القول وتخریجه على الوجه اللائق به.

وليس معنى ما أسلفتُ أن يقبل كل تأويل أو تخریج فراراً من تحفظة العالم، بل لا بد من ضبط هذه التأويلات بأمور ثلاثة:

الأول: درجة احتمال لفظ ذلك العالم للتأويل، فليس النص كالظاهر، وليس المنطوق كالمفهوم.

الثاني: وضوح الخطأ في المسألة أو غموضه، إذ الوقوع في الخطأ الواضح أبعد منه في الخطأ الخفي.

الثالث: مكانة ذلك العالم في فِيَه، فكلما علت مكانته، تعذر كثرة جريان السهو عليه تنزه عن الخطأ أكثر، فاحتمل كلامه من التأويل ما لا يحتمله من هو دونه في العلم»^(١).

الضابط الثالث: محاولة الوصول للأصل الذي بنى عليه المفسّر تفسيره.

تعدُّ من أهم الأمور التي يجب على الناقد العناية بها قبل التجاسر على انتقاد قول المفسّر، معرفة الأصل الذي بنى عليه المفسر تفسيره، والاعتبار الذي أَسَسَ عليه كلامه، والقراءة التي اعتمد عليها ساعة بيانه للآية؛ وذلك حتى يكون مصيباً في نقهده، ومنصفاً في حكمه؛ إذ انتقاد القول دون معرفة الاعتبار الذي بنى عليه، والوجهة التي تخرج عليها، يجرِّد النقد من موضوعيته، ويُضيق أفق الناقد في التعامل مع الأقوال،

(١) إضاءات بحثية في علوم السنة النبوية (ص: ٤٤٧، ٤٤٨) بتصرف يسیر، للشريف حاتم العوني.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

فيردُ كثيراً مما يمكن قبوله، ويَدْعُى التعارض والتضاد لما قد يكون سالماً منه؛ ويستنكر على أهل العلم ما لا يستنكر عليهم، لذا يتبع على المتصدي لنقد الأقوال والحكم عليها، فَهُم الاعتبارات والأسس التي قامت على أساسها الأقوال، وخرجت من رحمة الآراء حتى يكون نقاده مصبياً هدفه، ومحققاً غايته.

وإن المتعامل مع أقوال المفسرين إذا استطاع بالأنة والصبر وطول البحث والمعاناة، استكشاف ما وراء الأقوال من اعتبارات بُنيت عليها أقوالهم، واتجاهات أُسِّسَتْ عليها آراؤهم، انفتحت له أبواب من العلم لم تفتح لغيره، وانكشف له ما لم ينكشف لسواء، ووُفِّقَ إلى فهم كثير مما أُشكِّلَ على غيره، وإلى قبول ما تذر على غيره قوله، وصار يرى بعينٍ أخرى غير العين التي يرى بها سواه، وإذا غاب استصحاب هذا الضابط ساعة النقد، وقع الناقد في الشراك، وأفسد من حيث أراد الإصلاح.

وبسبب غياب هذا الضابط وقعت بعض الباحثات في الإمام الطبرى، وانتقدته انتقاداً مُرّاً، فقد انتقدت ذكر الطبرى لبعض الروايات في قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، والتي أفادت وقوع إعجابها في قلب النبي ﷺ، ثم انتقدت الطبرى بقولها: « ولو لم يكن في تفسيره إلا هذه لكتفة، كي يعاد النظر فيه على الأقل، وليهبط من تلك المنزلة التي أنزلها له السابعون إلى ما يستحق، جزاء ما نقل من افتراء على رسول الله ﷺ ». (١)

(١) الإسرائيليات في تفسير الطبرى (ص: ١٦٣).

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

تلك دعوى جائرة، وتهمة باطلة، والذي كان ينبغي لها، البحث في العلة التي دفعت الطبرى لذلک، مع رسوخ قدمه، ووفر علمه، وعظيم ديانته، وأقرب إجابة تجدها أن هذا مبني منه على القول بعدم عصمة الأنبياء من الصغائر فيما لا يتعلّق بالدعوة والرسالة، والطبرى من لا يقول بالعصمة المطلقة^(١)، ومسألة العصمة مسألة خلافية بين أهل العلم، وقد أسس الطبرى هنا على مذهبها فيها، ولا شك أن معرفة مثل هذا يخفف الحدة في الهجوم عليه، وقد تخالفه الباحثة فيما أسس عليه، لكنها على الأقل لن تقول ما سلف قوله إذا عرَفت مذهبها.

الضابط الرابع: التأكيد من صحة النقل المنسوب للمفسر قبل انتقاده.

ينبغي للناقد قبل انتقاده قوله لاً لعالم من العلماء التثبت من صحة القول المنسوب إليه، وقد جرى أهل التحرير من المفسرين كالطبرى، وابن عطية، وابن كثير، وغيرهم على هذا الضابط في تفسيرهم. وقد نقل إمام الحرمين عن العلماء قاعدة ذهبية جديرة بالاحتفاء، فقال: «قال العلماء: كل قول شاذ عن إمام ففي نقله خلل»^(٢).

وهذا كلام في غاية الإصابة، من إمام كبير، وذلك لأن أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم يتجادلها طرفان، قائل وناقل، وإن كثيراً من يتصدر لنقد الأقوال، يشغل بالقائل عن الناقل، مع أن احتمال خطأ الناقل

(١) ينظر: تفسير الطبرى (١٨/١٦) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ لَا يَحْكُمُ لَدَيَ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُرَّ بَدَلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّبِيعٌ﴾ [النمل: ١٠ - ١١]

(٢) نهاية المطلب (٩/٣٥٥).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

أكثر من احتمال خطأ القائل؛ لما قد يعترى الناقل من غفلة، أو ذهول، أو سوء فهم؛ ولكثره الوسائل التي تزداد احتمالات وقوع الخطأ معها، لا سيما عند بعدها عن مصدر القول. ومما يدخل تحت هذا الضابط:

- التثبت من صحة نسبة القول إليه.
- التثبت من سلامة قول المفسر من تصحيف النقلة.
- التثبت من سلامة قول المفسر من اختلاط النقلة بنقلهم تفسيره لموطن غير الذي فسره.

الضابط الخامس: مراجعة فهم العلماء للقول وكيفية تعاملهم معه قبل انتقاده.

من أراد أن يكون مصيّباً في نقهـة غير جائز في حكمـه، فليتـم ميزانـ النقد بهذه المهمـة، ولـيقوـم اعوجاجـ الحكم على الآخـرين بهذا الضابـط، فـيراجـع كلامـ العـلمـاء أو فـهمـهم لـلـقولـ - مـوطنـ الـدـرـاسـةـ - وكـيفـيـة تعـامـلـهـمـ معـهـ، قـبـلـ المسـارـعةـ إـلـىـ نقـهـةـ، ولـيـكـنـ فيـ مـرـاجـعـهـ لأـهـلـ الـعـلـمـ متـدرـجاـ بـحـسـبـ الـمـعاـصـرـةـ لـلـمـفـسـرـ صـاحـبـ الـقـولـ ثـمـ الأـقـرـبـ لـعـصـرـهـ، ذـلـكـ أـنـ الـمـعاـصـرـينـ لـلـمـفـسـرـ أوـ الـقـرـيبـينـ مـنـ عـصـرـهـ أـقـرـبـ النـاسـ إـلـىـ فـهـمـ مـرـادـهـ، وـتـبـيـنـ مـقـصـدـهـ، بـخـلـافـ مـنـ تـأـخـرـ عـنـهـمـ، لـمـاـ لـلـزـمـنـ مـنـ أـثـرـ فيـ تـغـيـرـ الـمـفـاهـيمـ، وـالـأـلـفـاظـ، وـالـمـصـطـلـحـاتـ، وـلـمـاـ لـتـغـيـرـ الـظـرـوفـ، وـالـأـحـوالـ الـبـيـئـيـةـ، وـالـاجـتمـاعـيـةـ، وـالـسـيـاسـيـةـ، مـنـ أـثـرـ فيـ فـهـمـ الـكـلـامـ.

ومـاـ تـجـدـرـ الإـشـارـةـ إـلـيـهـ أـنـ الـوقـوفـ عـلـىـ منـهـجـ الـعـلـمـاءـ، وـكـيفـيـة تعـامـلـهـمـ معـ الـأـقـوـالـ قـبـلـاـ وـرـفـضاـ، نـورـ يـجـبـ عـلـىـ الـبـاحـثـ أـنـ يـسـتـضـيـءـ بـهـ وـيـسـتـبـصـرـ، فـهـوـ يـخـتـصـرـ عـلـىـ الـبـاحـثـ مـسـافـاتـ كـثـيرـةـ كـانـ يـلـزـمـهـ قـطـعـهـاـ لـفـهـمـ تـلـكـ

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

الأقوال، ويُبصِّرُه بمقاصدتها ودلائلها، ويحلُّ له ما أشكُل عليه منها، ويمنحه علاً ومسوغات لم يكن ليهتدِي إليها وحده، وهو في ذات الوقت حصنٌ يتحصن به الباحث في ترجيح ما يراه راجحاً، وتضعيف ما يراه باطلًا، حتى لا يقف في أرض النقد وحيداً فريداً يصيب مرة، ويختطف مرات، وقد مرَّ بك كلام بعض المتأخرین في نقد تفسير السلف للرعد، ورأیتَ كيف جلَّى لك الشافعی الأمر.

ولا أنسى في هذا المقام أبداً كيف كانت كلمات قليلة من ابن قتيبة كاشفةً لي بكل جلاء عن أقوال السلف، في الحروف المقطعة، وكيفية فهمها، وكيف كان لقربه هو ومن وافقه من زمان السلف أثر كبير في فهم كلامهم، والإبانة عن مقصودهم، وهو عندي نصٌّ نفيس يضع القدم على الطريق لمن أحسن فهمه.

قال ابن قتيبة بعد أن ذكر بعض الأقوال الواردة في معنى هذه الحروف: «ولم نزل نسمع على ألسنة الناس: الألف آلاء الله، والباء بهاء الله، والجيم: جمال الله، والميم: مجد الله. فكأنَّا إذا قلنا ثُرثُر دللتنا بالحاء على حليم، ودللتنا بالميم على مجید.

وهذا تمثيل أردتُ أنْ أريَكَ به مكانَ الإمكان، وعلى هذا سائر الحروف، ومن ذهب إلى هذا المذهب فلا أرَاه أراد أيضاً إلا القسم بصفات الله، فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاتِه لا إله إلا هو»^(١).

وما كان يسمعه على ألسنة الناس لم نزل نحن بصورة أو بأخرى

(١) تأویل مشکل القرآن (ص: ٣٠٩).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

نفعله، فنحن في زماننا نعلم الصغار فنقول لهم ألف أرنب، باء بطة، وهل الألف تعني أرنب؟ وهل الباء تعني بطة؟ هكذا بكل يسر يُحل الإشكال..

هذه بعض الضوابط التي أرجو أن أكون قد وُفِّقت في عرضها بما يناسب طبيعة البحث، وهي إشارات وإضاءات يسيرة، ولا زالت كتب أئمتنا مليئة بغيرها وبأفضل منها في هذا الموضوع، وقد وفق الله الباحث للوقوف على بعضها من خلال رسالته للدكتوراه في المنهج الندي عند ابن عطية من خلال تفسيره المحرر الوجيز.

خاتمة البحث

أختم هذا البحث بذكر بعض النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- ١ - الانضباط بخطوات النقد والسير المتدرج معها يتجنب الناقد كثيراً من المزالق.
- ٢ - أنَّ وصف أئمَّة التفسير والإقراء واللغة والنحو بعض القراءات بقولهم «شاذٌ»، أو «لا يقاس عليه»، أو «بعيد في النظر القياسي»، أو ما أشبه ذلك = ليس تضعيفاً للقراءة، ولاطعناً في فصاحتها، بل ذلك منهم بيان لكون الوجه الذي جاءت عليه قليلاً في كلام العرب، وأنه لا يقاس عليه.
- ٣ - وجود تصادمٍ واضحٍ بين تطبيقات الأئمَّة وأقوالهم، وبين ما يقرره بعض المعاصرين في بعض القضايا كالإسرائييليات، وهو ما يؤكِّد أهمية العودة الجادة لدراسة هذه الموضوعات بمنهجية تعتمد استقراء الواقع التطبيقي قبل التنظير والتأصيل.
- ٤ - لا يسُوغ تخطئة جمهور السلف بخطأ واحد مع عدم مخالف لهم في قولهم، ولا وصف قولهم بالخرافة.
- ٥ - يحكى المفسرون الأقوال المحتملة التي لا تخرج عن حيز الإمكان العقلي ولا يتجررون على ردِّها، ما لم تصادم المعنى المتقرر في الآية، وحكايتها إياها ليست قطعاً بصاحتها، بل لبيان كونها ممكنة.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

٦- إذا كان تفسير النبي ﷺ تفسيراً بالمثال، جاز ذكر تفاسير أخرى معه، واندراج الجميع تحت المعنى العام.

٧- ينبغي التفريق في كلام الأئمة والمفسرين بين الاحتجاج للقول، وبين ترجيحه، فلا يلزم من ذكر مفسر أدلة قول من الأقوال، ومسوّغات ترجيحه، قبوله له.

أ- عبارات النزول في تفسير السلف تحتمل أن يُراد بها: تصوير ما تصدق عليه الآية من الأحداث والمعاني، وذكر بعض القصص والواقع التي تشملها الآية الكريمة لعموم لفظها، سواء كانت القصة متقدمة على نزول الآية أو متاخرة عنها، إسرائيلية كانت أو جاهلية أو إسلامية، تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها.

ب- سبب النزول.

٨- كل قول شاذ عن إمام ففي نقله خلل.

٩- من ضوابط النقد:

- ترك الانتقاد بالبدهيات.
- عدم انتقاد قول المفسر مع إمكان تصحيحه بدون تكليف.
- محاولة الوصول للأصل الذي بنى عليه المفسر تفسيره.
- التأكد من صحة النقل المنسوب إليه قبل انتقاده.
- مراجعة فهم العلماء للقول وكيفية تعاملهم معه قبل انتقاده.

 نقد التفسير بين الواقع والمأمول

ثانياً: التوصيات

أهمُّ وصيَّة يوصي بها هذا الْبَحْث ولا يحب أن يوصي بغيرها حتى لا تنسى:

الاهتمام بأمر المنهج واستكشافه في قضايا الدراسات القرآنية، وضرورة التفكير الجاد في كيفية تحقيقه ورسم الخطط له، مع ضرورة أن يتضلع بهذا العمل مركز علمي مستقل - كمركز تفسير -، يحشد لهذا كل طاقاته وإمكاناته، ويضع الخطة اللازمَة للوصول إلى المنهج القوي في دراسة القضايا، لاسيما المشكَلة على الخصوص، وإنَّ فَلَا تَعْدُ تَلْكَ الخطوات أن تكون خطوات فردية، يصعب على مثلها الوصول إلى المأمول لواقع الدراسات القرآنية - لاسيما النقدية منه - ومما يدمي القلب، ويدمع العين، أنه لا زالت كثير من بحوثنا تعطي ظهرها للمنهج، وتحلق في أجواء أخرى بعيدة عنه،وها هي السنوات تمر، ومئات البحوث والرسائل لا زالت تنجز، ولا تزال إشكالات المنهج هي هي!!!!

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَرَى.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

ثبت بأهم المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، محمد صالح محمد، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ

الإسرائيليات في تفسير الطبرى، د.أمال محمد عبد الرحمن ربيع، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة، ت/ د.عبد الصبور شاهين.

الإسرائيليات والمواضيعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة.

الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

إشكالات في منهج التفسير. د/ فريدة زمرد، مقال منشور بملتقى أهل التفسير بتاريخ (١٤٣٠/٥/٥) <http://www.tafsir.net/vb/tafsir15867/>

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٥٨٥ هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

إضاءات بحثية في علوم السنة النبوية، دار الصميدي - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ (ص: ٤٤٧، ٤٤٨) للشريف حاتم بن عارف العوني.

الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي المتوفى (١٢١٦هـ - ١٢١٦ م)، ت: أ.د. عبد القادر حسين، الناشر مكتبة الآداب - القاهرة.

الأم، الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد، وراجعه ورتبه: صالح أحمد الشامي، الناشر دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى - رمضان ١٤٢٧ هـ.

البرهان للزرκشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ)، المحقق: محمد

أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترتيب الصفحات).

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

تأويل مشكل القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

ترويض النص، دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، إجراءات.. ومنهجيات، حاتم الصكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٩٨ م.

تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم)، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، ت: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، على أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب.

تفسير الطبرى - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأعملى، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السندي
حسن يمامه، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

تفسير الطبرى (جامع البيان في تأويل القرآن)، المؤلف: محمد بن جرير
بن يزيد بن كثير بن غالب الأموي، أبو جعفر الطبرى (المتوفى:
٥٣١٠ هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد
شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلمونى
الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤ هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
سنة ١٩٩٠ م.

التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى:
١٣٩٨ هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، عدد الأجزاء: ٣ (الجزء ٣
هو نُقول وُجدت في أوراق المؤلف بعد وفاته ونشرها د محمد
البلتاجي).

تنزية القرآن عن المطاعن، قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد
الجبار بن أحمد المتوفى (٤١٥ هـ) دار النهضة الحديثة بيروت
لبنان.

تهذيب اللغة لمؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الھروي، أبو منصور
(المتوفى: ٥٣٧٠ هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار
إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: (بدون ناشر)، الطبعة: الأولى - ١٣٩٧هـ.

دراسة حديثية نقدية لحديث الرعد ملك، للدكتور حاكم عبيسان المطيري، بحث منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، الجلد ٢ العدد الثاني، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، (ص ٧٠) وما بعدها.

الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ١٣٦٠هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قائم الزهبي (المتوفى: ١٣٧٤هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

السنن الكبرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ١٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،
الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧

صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،
المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة
(بصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النسابوري
(المتوفى: ٢٦١ هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء
تراث العربي - بيروت.

الطبقات الكبرى محمد بن سعد، دار الغد العربي، ت: حمزة النشري،
وعبد الحفيظ فرغلي، وعبد الحميد مصطفى.

فتح القدير، محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:
١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت،
الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

فضل علم السلف، فضل علم السلف على الخلف، المؤلف: عبد الرحمن
بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ) بدون بيانات

الفقيه والمتفقه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب
البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن
يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة:
الثانية، ١٤٢١ هـ.

الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

«ولي الله الدهلوi» (المتوفى: ١١٧٦هـ) عَرَبَه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوi، الناشر: دار الصحوة - القاهرة، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

القراءات الشاذة وأثرها في التفسير د. عبد الله بن حماد بن حميد القرشي - مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد السابع (جمادي الآخرة ١٤٣٠هـ).

الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

كتاب العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

ال Kashaf عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

الكليات (الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية)، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوبي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي،
د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

مجموع الفتاوى، قي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودرایة، خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

المحرر الوجيز المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصارى، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعى الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مدارس النقد الأدبي الحديث د. محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: الدار المصرية اللبنانية - القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط
- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والأثار)، أبو بكر
بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان بن خواستي
العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ)، ت: كمال يوسف الحوت، الناشر:
مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي،
أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقق: طارق بن عوض
الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار
الحرمين - القاهرة.

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو
القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد
السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو
الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون،
الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى /
أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

مقدمة في أصول التفسير، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن
عبد السلام بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى:

نقد التفسير بين الواقع والمأمول

١٤٩٠ هـ / طبعة ١٤٩٠، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي (٤٥٦/٣)

مكارم الأخلاق ومعالاتها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامراني (المتوفى: ٥٣٢هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البغيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م.

مناهج النقد الأدبي، إنرييك اندرسون امبرت، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، طبعة ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م.

مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الرزقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبهني المدنبي (المتوفى: ١٧٩هـ) تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مراجعة منقحة.

النقد الأدبي لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٣ م.

النقد العلمي عند علماء المسلمين في العلوم التجريبية في المشرق

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

الإسلامي من منتصف القرن (١٣٥٨هـ / م ٢٠٠٤م) إلى نهاية القرن (١٤٧٥هـ / م ٢٠١٣م)، زيني بن طلال بن حامد الحازمي، الفصل الثاني، طابعة ١٤٢٦هـ / م ٢٠٠٦.

النقد والجمال عند العقاد، عبد الفتاح الديدي، مطباع الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون بيانات.

نقد الصحابة والتابعين للتفسير (ص: ١٦)

النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكرييم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، حققه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الديب، الناشر: دار المنهج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

